



من السماء

أحمد زكي أبو شادي

من السماء

تأليف
أحمد زكي أبو شادي



من السماء

أحمد زكي أبو شادي

الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦/١/٢٠١٧

يورك هاوس، شيبث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إن مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: إيهاب سالم

الترقيم الدولي: ١ ٨٨٣ ٠٨٢٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٤٩.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠١٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرخصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

المحتويات

٧	تمهيد
٩	التجربة الشعرية
١٥	من السماء
١٧	على صخرة سيدي بشر وحي بير مسعود
١٩	رحلة الزمان
٢١	الجدول المسحور
٢٥	بجماليون
٢٧	الزمن المريض
٢٩	يأس
٣١	إلى الفن
٣٣	قصر ريجيا
٣٥	خلائق اليوم
٣٧	بطل العلمين
٣٩	نجوى العيد
٤٣	تحية المليك
٤٧	الموتى المشردون!
٤٩	الحنين
٥٣	قبلة ميلادي
٥٥	الإسكندرية الفنانة
٥٧	الفن الضائع

٦٣	دمعة وايتسامة
٦٥	مجدا
٦٧	بسمة الأرض
٦٩	عابر سبيل
٧١	الوفاء
٧٣	الصيف
٧٥	يوم الجامعة
٧٧	الخائن الجبار
٧٩	فن الجحود
٨١	حواء تندم!
٨٣	حوريات الماء
٨٥	الأمواج
٨٧	معركة الحب
٨٩	قلبٌ لا يشيب!
٩١	قبلة أعوام
٩٥	أنانية الجمال
٩٧	غرام وانتقام
٩٩	رثاء أحمد محرم
١٠١	رثاء زوجتي
١٠٧	وداع مصر
١١١	استقبال أمريكا
١١٣	هكذا حدث ... رثاء نسيب عريضه
١١٧	ذكرى المهرجان اللبناني الكبير
١١٩	ثقتي بمآل الإنسانية: دستور لوحدة العالم
١٢١	عيد النيروز
١٢٣	في أتلنتيك ستي
١٢٥	رثاء عبد المنعم رياض بك
١٢٩	قطرات الندى

المحتويات

١٣١	بماذا سيموت؟
١٣٣	الاحتمال
١٣٥	فنيّ وحياتي
١٣٧	قلب والد
١٣٩	القلب الباكي
١٤١	ربيع الحر
١٤٣	تحية وفاء
١٤٥	الألوهة والكون
١٤٧	حسني الزعيم
١٤٩	غضبة الأحرار
١٥١	الشاعر السامي
١٥٧	الطلع والزهر
١٥٩	جواب الصديق الشاعر نعمه الحاج
١٦١	واد وواد
١٦٣	كابوس نائب
١٦٥	تقديس الفن
١٦٧	إرتريا الجديدة
١٦٩	الواحة والهجير
١٧١	رجع الصدى
١٧٣	النكبة
١٧٥	نيويورك
١٧٧	اللاجئون
١٧٩	عيسى
١٨١	شجرة عيد الميلاد
١٨٣	الصعود

تمهيد

تضم الصفحات التالية معظم شعري ما بين سنة ١٩٤٢م، وسنة ١٩٤٩م، وقد ضاع جانب من مخطوطه في خلال نقلتي من مصر إلى أمريكا سنة ١٩٤٦م وفيما انتابتها من محنٍ، كما ضاع بعض الصور الفنية وفي مقدمتها «رحلة الزمان» و«خلائق اليوم»، ولكن في هذه النماذج الميسورة ما يكفي تمثيلاً لشعوري ولخواطري في أثناء هذه السنين، ولبلغ تفاعلي النفساني مع الأوساط التي عشت فيها. ولعل بها ما يُرضي مطالب الناقد الأدبي وقراء الشعر الحديث.

ويطيب لي في هذه المناسبة أن أهدي خالص الشكر إلى لجنة النشر التي تكفلت بإصدار هذا الديوان وأكرمت في شخص صاحبه ما عدته إكراماً للشعر العصري ورواده، لا إكراماً لشخصي وأدبي فحسب. كذلك يطيب لي أن أشكر لدار (الهدى) عنايتها الفائقة بطبعه وإخراجه في هذا المظهر الفني القشيب.

أحمد زكي أبو شادي

نيويورك

التجربة الشعرية

بقلم صاحب الديوان

للشعر مقومات تتنوع في تركيبها ولكن لا ينفرد أيُّها به. وأولى مقومات الشعر الصادق التجربة الشعرية؛ أي تأثر الشاعر بعامل معين أو بأكثر واستجابته إليه أو إليها استجابة انفعالية قد يكتنفها التفكير وقد لا يكتنفها، ولكن لا تتخلى العاطفة أبداً عنها، إذ إنهما حينما تتبعدان يتجرد الشعر من أبداع صفاته الأصيلة ويصبح نظماً خلافاً على أفضل تقدير، أو ينعث «بشعر الذكاء» تجاوذاً. والنماذج لذلك كثيرة غالباً، ومهمة النقد الفني تثبيطها بل استئصالها. وحينما يُصبح الشعر موضوعياً فإنَّ الشاعر القدير في قصته أو في ملحمته يتمثل العواطف لشخصيات روايته ويخضعها عليها كما يصنع الممثل على المسرح، أو يُعبر عن إحساسه ضمن الموضوع الذي يُعالجه.

والتجربة الشعرية قد تكون عظيمة كما قد تكون تافهة في ظاهرها، ولكنَّ الشاعر الكبير قادر بتأثره وتفاعله على إبداع الجليل من التافه؛ لأنَّه يراه بمرآة نفسه الكبيرة التي كيفتها عوامل شتى ممتازة، ويتمثل الإنسانية عامة لا شخصية فردٍ في شعره، وهكذا يأتي بالممتاز المعجب من أبسط التجاريب في ظاهرها المألوف. وقد تكون العاطفة متجلية في الشعر، كما قد تكون مستورة. ومن الطراز الأول عاطفة الود التي أنطقت المتنبي بمثل هذه الأبيات الخالدة التي تناسب كل زمان ومكان، وتعبّر عن شعور الإنسان إطلاقاً، وإن كانت مناسبتها الظاهرة عتب المتنبي على سيف الدولة قبيل النزوح عنه:

يا من يعزُّ علينا أن نفارقهم وجداننا كلَّ شيءٍ بعدكم عدمُ
ما كان أخلقنا منكم بتكرمةٍ لو أن أمركمو من أمرنا أممُ
إن كان سرَّكمو ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكمو ألمُ
إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همو

فهنا الحرقه أو اللوعة لا تخص أبا الطيب وحده، وإنما هي شعور الإنسانية عامَّة
إزاء الود الضائع والعقوق والكفران. ومن الطراز الثاني عاطفة الإعجاب التي أوجت
مثل هذا الشعر إلى ابن هاني الأندلسي في وصف الخيل وقد كان مفتوناً بها:

وصواهل لا الهضب يوم مغارها هضبٌ، ولا البيدُ الحزون حزونُ
عرفت بساعة سبقها، لا أنَّها علقت بها يوم الرهان عيونُ
وأجلُّ علم البرق فيها أنَّها مرت بجانحتيه وهي ظنونُ

فهذا الفتون ببراعة الخيل وجمالها هو بمثابة تصوف في لون من جمال (الطبيعة)
وهو شعور إنساني خالد. وكلا النموذجين من النسق العالي، وكلاهما يمتزج فيه الفكر
بالعاطفة امتزاجاً سائغاً، وهذا عندي أرقى الشعر، وإن عدت في مستواه نماذج من
الشعر الصافي يملئها العقل الباطن وحده. ومن النماذج الرائعة المرددة للشعر الفكري
العاطفي دالية المعري الرثائية التي يقول في مطلعها:

غير مجدٍ في ملتي واعتقادي نوح باكٍ ولا ترنُّمُ شارٍ
وشبيه صوت النعي إذا قيـ س بصوت البشير في كل نادٍ
أبكتُ تلكمو الحمامة أم غنـ نت على فرع غصنها الميَّادٍ؟
صاح! هذي قبورنا تملأ الرِّحـ ب، فأين القبور من عهد عادٍ؟
خفف الوطاء! ما أظنُّ أديم الـ أرض إلا من هذه الأجساد!
وقبيح بنا، وإن قدم العهـ د هوان الأبياء والأجدادِ

التجربة الشعرية

فالجانب العاطفي في هذه التجربة الشعرية الرائعة هو ألم المعري من الحياة، كما كان يألم شوبنهاور، واشتهاؤه زوالها وقد أنَّ من الألم:

تعبُ كلها الحياة فما أعـ جب إلا من راغب في ازدياد!

والجانب الفكري متغلغل في صميمها وإن برز مستقلاً في مثل هذين البيتين:

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد
فاللييب اللييب من ليس يغتُرُ رُ يكون مصيره للفساد

وهو في هذا الشعر العظيم المعبر الأمين عن مأساة الإنسانية وحيرتها الكبرى في جميع الأزمان.

ومن نماذج الشعر الصافي الذي تدعمه العاطفة مستقلة في مجمله في النهاية ولا تجد فيها الإنسانية إلهاماً ولا عزاء أو سلوى. وبين الشواهد على ذلك نظم الكثيرين الذين روى لهم السيوطي في (نظم العقيان).

إنَّ التجربة الشعرية هي الدعامة الأولى للشعر، فإذا افتقدت لم تكن للموسيقى النظمية ولا لمتانة الديباجة ولا للتخيل المصطنع أية فائدة للفن، بل كانت جميعها مفردات أو تراكيب للافتعال وللتحايل على الشعر، وما كان التطفُّل على الفن فناً. والشاعر الذي لا تشمل روحه الكونيات الخالدة ليس إلا شاعر نفسه أو بيئته أو زمنه أو موضوعه المحدود.

وكان بودي أن أضمنَّ هذا التصدير الوجيز في التجربة الشعرية نماذج خالدة من الشعر العصري وعلى الأخص في العالم الجديد تؤيد وجهة نظري المتقدمة، لولا أنَّها عديدة، ولولا أنني لا أحب أن يتوهم استشهادي بالبعض دليلاً على عدم اعتباري لما عداه، في حين أنني أعتز بالشعر العربي الأصيل الجميل قديمه وحديثه أينما كانت مصادره ومواطنه وكأنني صاحبه. وما أقصد بهذا التصدير — استجابة إلى دعوة الناشرين — إلا خدمة الناشرين بين قرائي، وإجابة السائلين عن بعض آرائي الفنية، ثم الدفاع عن الشعر وعن حق الشعراء في تنويع إنتاجهم وفي التعبير عن تجاربهم الشعرية حسب أذواقهم وحدها فهي — دون غيرها — التي تكيف نماذج الشعر وتغني آدابنا بروائعها

المنوِّعة التي لن تحد ما تنوعت الإنسانية وما تجددت الحياة وما تعددت ضروب التفاعل معها.

بقيت كلمة لا غنى عنها لمجانبة عامل غريب أساء إلى التجربة الشعرية في أدبنا، ألا وهو الأسلوب الخبري التقريري الذي يقوم على البيت وتصنع الحكمة المنظومة، فإنَّ هذا العامل التقليدي لم ينفع إلا الفحول من الشعراء المطبوعين الكلاسيكيين، وشتان بين قوة ابن دُرَيْد في مثل هذا الشعر الحكيم الداعي إلى التبصر والمبشر بالكفاح والاحتمال:

لو لابس الصخر الأصم بعض ما	يلقاه قلبي فض أصلاذ الصفا ^١
إذا ذوى الغصن الرطيب فاعلمنْ	أنَّ قصاراه نفاذٌ وتوى ^٢
لا تحسبنْ يا دهر أنِّي صادع	لنكبة تعرقني عرق المدى ^٣
مارست من لو هوت الأفلak من	جوانب الجو عليه ما شكاً!

أو قول أبي الطيب في الطبيعة الإنسانية:

ذو العقل يشقى في النعيم بعقله	وأخو الجهالة في الشقاوة ينعمُ
لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى	حتى يراق على جوانبه الدَّمُ
والظلم من شيم النفوس فإن تجد	ذا عفة فلعله لا يظلم
ومن البلية عدل من لا يرعوي	عن غيه وخطاب من لا يفهم

أو قول أبي تمام في حرية الفكر والقول وفي الاضطرار إلى الهجرة:

سأصرف وجهي عن بلاد غدا بها	لساني معقولاً وقلبي مقفلاً
وإن صريح الحزم والرأي لامرئ	إذا بلغته الشمس أن يتحولاً

وبين ألوف الأبيات النظمية السطحية التي تكومت أنقاضاً جيلاً بعد جيل إلى يومنا هذا، حتى أفسدت في أزمنة ذوق الأدباء وعرفانهم للجمال. وقد يطيب لي بحكم ذلك أن

^١ أصلاذ الصفا: أحجار الصخور الصلبة.

^٢ التوى: الهلاك.

^٣ تعرقني: تزيل لحمي عن عظمي. والمدى: السكاكين.

التجربة الشعرية

أحبذ الأسلوب الرمزي والأسلوب القصصي، وأن أتفاءل بتذوق أدباء العرب في أمريكا لهما، وأن أتمنى أن يعاون نهجها على اجتثاث الإيحاء النظمي الفاسد وعلى تربية الملكة الشعرية حيثما يستطاع ذلك، فإنَّ الشعر على أيِّ حال طبعٌ وموهبة لا بهرج وصناعة، بل عقيدة فنية يُسعدني أن أقدم هذا الديوان المتواضع أحد قرابيني لها.

من السماء

سكبتَه السماء في راحتِكَ؟
ن، ولم أعطه سخيًّا إليك؟
ما تغنوا إلا بعطفي عليك؟
أنا أودعته قديمًا لديك؟
أنت أمي وموئلي وغرامي
من حياة تعج بالآثام
وهو من همو بهذا الخصام
والسلام الذي أراقوا سلامي»
في نجاه وإن تكن لا تبالي
وتلاقي مألها من مآلي
بِ إذا دمت عبد هذا الخيال
بل نضالًا يزري بهذا النضال»
وتراجعت مثخنًا بالجروح
والضحايا مع الزمان الذبيح
وكأنني أعود عود المسيح
وانطوينا على فؤادي الجريح

قالت (الأرض): «أي عطر لديك
أُيُّ شعيرٍ لها فتننت به الآ
هل علمت الأرباب فيها أسارى
ما جمال السماء إلا جمالي
قلت: «يا أم لم أبدل هيامي
ما عشقت السماء إلا هروبيًا
أنت من أنت رحمةً بالبرايا
الدماء التي أباحوا دمائي
قالت (الأرض): «ما الشموس العوالي
في سحيق الآباد يومًا ستخبو
أنت يا شاعري تجازف بالحُبِّ
لن تلاقيني لدى السماء سلامًا
وتناهيت في السماء بروحي
وشهدت الصراع فيها رهيبًا
فتغنيت عائدًا بالمآسي
ولثمت الأرض التي باركتني

على صخرة سيدي بشر وحي بير مسعود

(الخطاب موجّه إلى البحر في هذا المصيف الشهير برمل الإسكندرية.)

أنظر تلهُف ناظريّ وخاطري!
في كل معنى من نشيدك ساحر
أصغي إلى لحن الخلود العامر
قبل الوجود فكان روح الشاعر
ونبادل الإحساس بين مشاعر
قصص الحياة لساكن ولعابر
ذاك الرتيب كرجع حلم غابر
والفنُّ يُعبَد في الجمال الثائر
أو كان صوتك غير صوت مقادر
نجواك وهي عميقة بسرائري؟
وأعدُّ ذرات الندى المتناثر؟
وكأنّها قامت عروش قياصر؟
فتألّهت بمظاهر وضمائر
أنشقت منك هوى الربيع الناضر
مثلي كأنك بالأشعة آسري
وقطفت من معنك حلو أزاهري
لما رأيتك في ابتسامة ساخر

هيمنُ مثلك يا صديق الشاعر
أنا من علمت محبّة وتفانيًا
أصغي إليه ولا أملُّ كأنما
عزفت به الأرباب من عليائها
نتقاسم الأحلام ملء خيالنا
وتظل تشجيني بموجك راويًا
ألتدُّ بالصوت الرخيم وإن يكن
لغة الجمال طلاقة بل ثورة
هل كان قربي منك غير عبادة
أو لا، ففيم تأملي وتفهمي
وعلام أصحاب كل موج واثب
وعلام أشغف بالصخور روائيًا
وكأنها عبادتك مثلي حرّة
قد جئت سباق الربيع وطالما
وضممتني بأشعة فرحانة
حتى تناسيت الربيع وزهره
ونسيت عندك للصلاة خشوعها

من السماء

وجعلت من صور الصلاة دعابتي
حتى تُشاركنا الرمال وتنتشي
متصوفين كأننا لم نفترق
لك غير مكترث وغير محاذر
هذي الصخورُ فنرتقي بالخاطر
يوماً ولسنا من غريب عناصر!

١٩٤٢

رحلة الزمان

وحي صورة فنية

مجنذفًا وله الأمواج أدهار
الأمس والغد والمشهود حضار
للكون ما فصلت للكون أقدار
وفي تأملها هديّ وأنوار
إلى الأمام، فما تخفيه أستار
تمثل (الحاضر) الحاويه قيثار
نشوى فليس لها في الأمس تذكّار
إلا التذكّر معقود له الغار
ضاعت كما ضاع أحلام وأوطار
كذلك (الأمس) مهما ساء يختار

يا راحلاً لم ينل من جهده تعب
في ذلك القارب الرمزي عالمنّا،
تسوسها جامعاً من رمز وحدتها
تحيا الأنوثة فيه بالرجاء لنا
تمثل (المقبل) المرجو ناظرة
وهذه أختها في اللهو سادرة
كأنما قد سلت عن غيره وبدت
في حين أخت لها هيهات يشغلها
قد أسندت رأسها إذ تستعيد منّي
قد مجّدتها جميعاً وهي فانية

* * *

كم ملء رحلته همُّ وأخطار
وكم تحجب في التيار أغوار

يا راحلاً عبؤه عبءٌ يُحيرنا
نراه لكن نرى السطحي يشملنا

لم تضرب الموج بالمجذاف معتبًا^١
يتلو روايتها الغادون في عصر
كم من تجاريب قد دونتها حكمًا
وكم تجاريب من طيش ومن نزق
تبدو على ذلك التيار قصتها
وأنت حي على الأباد، محتكم
مجنح ثم تأبى أن تطير سدى
إلا وفي الموج للمجذاف آثار
شتى وتخلد فوق الموج أسطار
أو ثأر أهل العلى لو يؤخذ الثار
مثل الكواكب قبل الموج تنهار
وإن يكن طيها للنفس أسرار
على المقادير، وثاب وجبار
ودائب ما له في الدأب أعمار

* * *

من السماء رجعنا بعد رحلتنا
فقلت للزمن الموموق: «يا زمني
أما سئمت من الأجرام عابثة
ومن تجاريب في الإبداع طائشة
فقال: «بل هي سلوى ملء بوتقتي»
إنا كلينا قبسنا من محاسنها
ومن تجاريبها دنيا أجدها
وبينها من عصور الخلق نظار
ألم تشبك كشيبي اليوم أسفار؟
ومن شمس لها قصف وأسما
رهن الملايين لا تخبو بها النار؟
وتلك للفن إلهام وأخبار
ومن محاسنها خلق وأفكار
كما يُجدها لحن وأشعار!»

^١ معتبًا: مجروحًا.

الجدول المسحور

على مقربة من ملروز في إيقوسيا يوجد جدول ماء متغلغل تحت الأعشاب والنباتات
المشجرة الزاحفة يُدعى «بوجل بيرن» اشتهر إلى جانب جماله بأسطورة ظريفة أوحى
كما أوحى إلى صاحب الديوان بهذه القصيدة:

ما زال من حبي عليه نسائم
وهو الذي لا يزدهيه العالم
لكن تنم على سناه معالم
تخفي فيفضحها الحنان الناعم
بين الجنان مراشف ومباسم
ومن الأشعة والظلال مجاثم
فيجيبني ذاك الخير الحالم
وكذاك يحلم صادح أو باغم
نسج الخشوع لها الجمال الدائم
ومتى أنام ولي الخير منادم؟
وأخاله قوتي، وما أنا واهم
من خير أيامي كأني غارم
لهوأي فهو مزود ومقاسم

(ملروز) جدولك النَّؤوم الحالم
الذكريات زهت به في عالمي
متحجب خلف النبات وتحتته
فكأنما دعة الأنوثة روحه
جالسته وكأنما في صحبتي
ومن النبات ستائر سحرية
يا طالما خاطبته بتأملي
وكأنني في حلمه مستغرق
كل (الطبيعة) حولنا بسكينة
وأنام أرتشف الخير مدامتي
أصحو على سكري، وأبى هجره
قد كنت أنفق في اصطحاب سنائه
فيعيدها عمراً جديداً ضافياً

وكأن محراب الطبيعة كهفه^١ وكأنما أخفت سناه مناجم

* * *

لم أنس ليلة جلستي في قربه
والصيف في أنفاسه من عطره
يشدو بصوت كالضياء صفاؤه
في فرحة مثلي وفي تهليلة
ونقيق عشاق الضفادع مالك
حفلت جميعاً بالحياة وبالهوى
نتبادل الأنخاب بالذكر التي
حتى رجعنا نستعيد أحبها
بوليمة للروح قبل مشاعر
متباينين موحدين، تصوفت
من علم النبات الضئيل عبادتي؟
لم نصطنع لغة سوى إحساسنا
فسكت كالمشدوه وهي بجانبني
فلثمتها وكأن من لثمي لها

* * *

قالت فتاتي: «هل سمعت الماء
عمن مضوا وتفيئوا أزهاره
فأصخت للماء المثرثر هامساً
متداولاً ذكراً كأن لنا بها
قال الطروب الماء: «يا حوريتي
ماذا أصاب فتاك حين دعوته
متمهلاً يروي لنا الأنبياء
أو بادلوه محبة ورجاء؟»
يستوقف الجنية الحسناء
عبراً تثير الشعر والشعراء
كم ذا جنيت هنا صباح مساء
ليقبل الثغر الجميل فناء؟»^٢

^١ كهفه: غوره.

^٢ يعرف أيضاً بالعندليب وبالمهر وفي الشعر الإنكليزي قصائد رائعة في وصف شدوه وسهره.

^٣ فناء: فسقط ونأى.

قالت: «تشهيت الجمال بذاته»
 وحرصت أن يحيا لديّ متوجّجًا
 ما ناله سحري بغير محبتي
 كان التحدي بعض إغرائي له
 ومضى تباعي غائبًا في عالم
 ومنحته تفاحةً مسحورة
 حتى إذا ما شاء زورة أهله
 وأبى الأنام وكل ما حفلوا به
 لا أن يذال كما ترى ويساء
 في عالم لم يعبد الفحشاء
 فهو الأسير وما أراد نجاء
 فهوى يقبلني فصيد جزاء
 بالسحر ينبض روعةً ورواء
 من ذاقها لا يستسيغ رياء
 يومًا رأى دنيا الرياء فباء^٤
 ورأى الضياء حيالهم ظلماء!

* * *

قالت فتاتي وهي في سكر الهوى:
 هل أنت تخشاهما؟^٥ فمالك صامتًا
 أتظنني جنيةً حوريةً
 فضممتها ولثمتها ورضيتها
 وأجبتها: «هل من نعيم يُشتهى
 ستجىء أعوام أعيش بحرقتي
 ولتمنحيني الآن ما تهبينه
 إنني أرى آتي السنين مهددًا
 فهل نسخر من زمان حاقد
 كم من غرام طاهر أودى به
 فبكت، فقهقت المياه لشجوها
 وسمعت من حورية محبوسة
 فعجبت من هذي المياه وسحرها
 والآن من بعد الفراق وما جنى
 «أترى إذا قبلتني نلقى النوى؟
 متأملًا متوجسًا كمن ارعوى؟
 فرأيتني خطرًا ولا خطر الهوى؟»
 دنياي بل أخراي عن دنيا الورى
 غير النعيم لمن أحبك وارتوى
 فدعي الظنون بل ادفنيها في الثرى
 لمسافر لم يسطحب غير الجوى
 حظي وألمح فيه أقسى ما احتوى
 من قبل أن يسعى بنا أو بيننا
 كعبير هذا الزهر ضاع مع الهوا»
 وتضاحكت أعشابها بين الحصى
 في طيه أنات من فقد المُنَى
 ورجعت ألثمها وأدخر الغنى
 أحنو على ذاك الزمان وما جنى!

^٤ فباء: فرجع إلي.
^٥ أي النوى.

بجماليون

من خيالي جبلت حسنك تمثالاً فطافت حيااله الأنبياء
مشرقاً من جمال ما علموا حين الذي علّموا طواه الفناء
سجدوا مثل سجدتي لمحياك فمنه تألف الإيحاء
نظرةً للألوهة استعبدتنا وعبيد الجمال هم من أضاءوا
وتخلّوا عن السماء فإنّ الأرض لما سكنتها تُستضاء
بل لدن أبدعت يد الفن فيها رسمك الذي اشتتهه السماء
أتملّاه في شخوصي وأحلامي ومن غير فؤادي براءً
يا مثاليّتي التي لم تدنس بتشابيه كلها أهواء
ما تسابيح مُهجتي فيك إلا صلوات روحية غناء
لم تُعرف ولن تعرّف يوماً لنفوس لم يستثرها الضياء
والضياء الذي تشبعت منه غير دنيا ضياؤها ظلماءُ
والجمال الذي تغنيت فيه غير ما تابع الورى كيف شاءوا
كلما جئت مفصّحاً عنه ردتني إلى الصمت نشوةً خرساءُ
بايع الأنبياء قلبي بالحب وعبئي من دونه الأعباء
ففروضي فروضهم وعباداتي وحيداً هي الغنى والجزاء
وهي همّي ولوعتي وشجوني وهي أنسي ولذتي والرجاء

* * *

وتجليت فتنة وأنا العابد لا تستشيرهُ الضوضاء

من السماء

وتخيلت إنني ذلك المغرم يصبي خياله الإغراء
فتباعدت، حينما أنت للفن خيالي المقدس الوضاء
لا التي يعشق الورى، وهي منهم، ويُباهي بوصفها الشعراء!

١٩٤٢

الزمن المريض

عزاء إلى شاعر صديق

قد كنت آمل أن أراك بصحةٍ
لأجدد الحب القديم وإن يكن
فإذا دموعك كاللهيب تصدني
ريح الفؤاد وقد قرأتك باكيًا
لم أرث في دمعي شجونك وحدها
عشنا نعالجه فخان وفاءنا
هذي ضريبته، وهذا عالم
لم ألق غير الفن ملجأ رحمة
فالجأ إليه مثابةً علويةً
غردًا وفي دنيا من النعماء
حبي المؤصل في صميم بنائي
ومن اللهيب لواعج الآباء
هذا الصباح فما ملكت بكائي
بل كان للزمن المريض رثائي
وجنى، وكم يجني على الشعراء
العدل فيه مخاتل ومرائي
وعزاء من يصبو لصدق عزاء
وتلقّ فيه من العزاء وفائي

يأس

إني يئست، ومثلي غير متهم،
إن أنصفوني فغبني عين نصفتهم
قد حرت ما بين تجريح لعاقلهم
وبين ميزانهم للحق في سفه
من الأنام، ويأسي من أحاسنهم
وفيم غبني وجهدي غير غابنهم؟
كأن عاقلهم ند لماجنهم
حتى تساقط حقي عند وازنهم!

إلى الفن

(توديع للآنسة الفنانة فاطمة هـنو قُبيل التحاقها بمعهد الموسيقى بالقاهرة.)

إلى الفن بسمتك الحالمه
عيون وأفئدة ساهمه
من اللطف والدعة الباسمه
حوافل، والمُلح الدائمه
خواطرك الحره الهائمه
تصيدين أَلحانه العائمه
من الظرف والصور الناغمه
فما الزاد للأنفس الصائمه؟
فهل تخذلين المُنَى الغارمه؟
بضحتك الحلوه الناعمه
نرجيك في الوحشة القاتمه
والأنس والحيله الواهمه
تُدين عواطفنا الناهمه
عة) وهي بيقظتها نائمه
وتستلهمين الرؤى الجائمه
تعودي بأياتها الكارمه
ففي الأرض دولته قائمه

إلى الفن نجواك يا (فاطمه)
ستمضين أحوج من ترتجيك
لكم نعمت منك بالعبقري
ومن نكتٍ بالمعاني الدقاق
أثيرية الطبع لا تستقر
كأنك جواله في الوجود
وتعطينها طرفًا غاليات
سنحرم في البعد هذا الرحيق
ولست البخيلة للأوفياء
سُقينا التفاؤل من وجنيتك
ولما نزل بعد من تابيعك
نرجيك مستذكركين الرشاقة
ونلقاك بين الأغاني اللطاف
ومل رؤى الشعر حول (الطيب
لكم كنت ترعينها في الحقول
فعودي لها بجديد الغناء
ولا تحسبي الفن رهن السماء

من السماء

نعم، أمنا الأرض من أبدعته وطار بأجنحة نادمه
فلا تجحدي فنَّها أين كنت فأنت الوفيَّة يا (فاطمه)!

١٩٤٢

قصر ريجيا

(تحية إلى الصديق الشاعر الموهوب مفيد الشوياشي حين أصدر كتابه عن أيام كلوباطرا
الأخيرة.)

يا (قصر ريجيا) أين أنت؟ وهل سلمت؟ وهل أمنت؟
فتشت عنك فلم أجدك، وجئت أستوحي فبنت
هذا (مفيد) شعره المنثور ينثر ما كنزت
ويعيد ما استطيبتة وإلى مفاخره حننت
وكأنه من ساكنيك وقد تحرك إذ سكنت
شهد الولايم والمجالس والمراقص مذ أذنت
وقياصر الرومان والمجد الذي كان وكنت
وعراك (بطليموس) والثأر القديم وما غنمت
وهوى (كلوباطرا) وما فقد الهوى لما هويت
واليوم يوفي دينه أدبًا غنمنا بل غنمت
قصصًا من الفن الأصيل به فتنًا إذ فتننت
يُتلى وكل حاضرٌ عصر الفخامة فيك أنت
لا قارئٌ وصفًا له يطوي كأخبار وموتى
فلأنت حي بيننا جمُّ الشموخ كما عهدت
والشعب دفاق حيالك هاتفًا حتى جننت
ويقهقه المرح الطليق وبعده الأحداث شتَّى

من السماء

لو أنني حاولت في شعري تتبُّعها غبنت
وأديبنا الخلاف يرسمها فنلمسها وتؤتي
وكأنها ملك له، وكأن ما أوحى تأتَّى
جمع الحقيقة والخيال فما اكتفينا واكتفيت!

١٩٤٢

خلائق اليوم

(وحي صورة فنية للرسام الإنكليزي رسل فلنت عضو الأكاديمية في لندن.)

لقد ملك الفنان لبي وخاطري
كما أنطق الأصباغ روح المعاصر؟
فقد نبتت في البحر شتى المشاعر
له حيوات من كريم العناصر
كأن من الإلهام زاد المسافر
وإن كان مذخوراً بصورة ساحر
وإبداع خلاق ومزمار شاعر
جديدًا كأشعار الربيع المبكر
وإن كان لم يبرح خيالاً لناظر
تعالى بها الفنان عن طيش عابر
بأفئدة ولهى ونجوى السرائر
منوعة كالخمر عند المعاصر
وإن نوعت في الوصف أو في المظاهر
ومن ضجعة هزت عروش قياصر

مظاهر فن أم تهاويل ساحر؟
ألم يودع الأصباغ فتنة عصره
وما اختار غير البحر معرض فنه
أبونا^١ الذي ربى العصور فأنجبت
وقد نشر الإلهام إثر مسيرها
رجعنا إليه^١ اليوم ظمأى لوحيه
وما الريشة الزهراء إلا عواطفًا
فيرفض منها النور والظل عالمًا
نُصحابه حسًا وفيًا مُجسمًا
فيا لوحة فيها الملاحنة نفحة
عرفناك معنى عبقرية نحوطه
تراءت به (حواء) في مُثل لها
ولكنها كالخمر أصلًا ونشوة
فنسكر من لهو لها وتجرد

^١ أي البحر.

وما الزورق الثاوي قريراً بقربها
فلولا رضى (حواء) ما ساح ناجياً
ولا خلد العمران رغم انتشائه
شربت مع (الدهر) الخيالات وحدنا
وعدنا فلم نظفر بعلم مجدد
وكانت لنا (حواء) في كل منزل
كأنّ ضياء الكون شعلة روحها
وكل الذي يُرجى سواها تعلقة
معانٍ تراءت في خيالي كومضة

سوى (زورق الدهر) الغيور المغامر
ولا كان أستاذ العصور الغواير
بسفك الدم الغالي ونشر المقابر
وسحنا إلى مهد العلى والعباقر
ولكننا عدنا بإيمان تائر
نزلناه معنى فوق معنى المقادر
كأنّ هواها غامر كل غامر
من الوهم نجزيها ببسمة ساخر!
ولكنّها نخر لحيّ وقاهر!

١٩٤٢

بطل العلمين

(قيلت في أول يولية سنة ١٩٤٢ تحية للجنرال أوكنك.)

إلى البطل الثاوي لدى (العلمين) أزفُ من الإعجاب أهون ديني
إلى المنقذ الآلاف وهو مجازفُ كأنَّ مآل الحرب رهن يدينِ
تخطى صفوف الموت بالموت هازئاً وأرجع مفقود الرجاء لعيني
وأنذره العادي بشر هزيمة فعانى سراب الطيش في (العلمين)!

* * *

لقد سخرت منه التلال ورددت لها ضحكات السخر غضبي المدافع
وقد أقبل الفرسان كل لثأره وكل بدباباته غير قانع
عزيز عليهم أن يردوا فراسخاً وقد صبغوها في قديم المواقع
وقد أورثوها بالدماء شعورهم كما أخصبوها بالهوى والمدامع

* * *

إلى البطل الحر الذي لم يمت له يقين لدن ريع الرجال وماتوا
إلى العلم الصنديد يخرجه الردى فيسمو ولا يسمو إليه ممت
إلى من يرد الغرم غنماً موطداً ومن قلبه قبل الحماة حُماة
تحية من يهوى البطولة فذة ومنها شعاعٌ للورى وحياة

نجوى العيد

قيلت باسم المؤتمر الطبي العربي الخامس برئاسة سعادة الدكتور علي إبراهيم باشا في تحية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا إثر حفلة الغداء التي أقامها رفعته تكريمًا لأعضاء المؤتمر بكازينو أتنيوس بالإسكندرية يوم الإثنين ٢١ ديسمبر سنة (١٩٤٢).

لمن تُزَفُّ التهاني أيها العَلَمُ؟
نعم إليك، فما يرضيك يسعدنا
وليس أعلامها غير الألى بذلوا
الواهبيين من الأعلاق أنفسها
العازفين عن الأطماع مغرية
إنَّ الزعامة إقدام وتضحية
وليس (كالمصطفى) يسمو تواضعه
اليوم يجمعنا حب توزعه
لمَّا مددت يدَ الترحيب تكرمنا
أهدى (علي) إلى عليك طاقتَه^١
وما أقل الذي يُهديه من كلم

إليك أم للألى في فرحة نعموا؟
وهكذا تزدهي أعلامها الأمم
كما بذلت ومن عانوا ومن خدموا
عند الشدائد لا يلوي بهم ندم
وعن نداء الدنيا سمعهم صمم
حين التخازل في يسر هو العدم
إذا هوى في غرور الغاشم الصنم
وكلنا طامع: تُعطي وتقتسم
لم ندر كم من معان يسبغ الكرم
وليس بعد الذي يهديه مغتنم
وما أجل الذي توحى به الكلم

^١ الطاقة: باقة الرياحين.

وذهنه عالمٌ هيهات يُقتحمُ
من علمه العلم أو من حكمه الحكم
وجاء من قسوة الأيام ينتقم
أغلى الثناء على ما صنته لهمو
لكن به تتسامى مهجة وفم!

يغضي ويطرق كالأرباب معتكفاً
وما (علي) سوى ذخرٍ لأمته
جاء الإمام لأهل الطب ينهضهم
وحوله جمعنا يُوفيك في شغفٍ
وما يزيد ثناء شأو رفعتكم

* * *

وإن يُرجي حباك (العرب) و(العجم)
ربوع (لبنان) إلا (مصر) عندكمو؟
جنات (سورية) الفيحاء؟ فهي همو
وأهلها طالما رجّوك إذ حرموا
لمّا طلعت تحيّيهم وتبتسمُ
وهمة لم تجز إيمانها الهمم
كما تعز به الأخلاق والشيم
بادٍ سقينا جميل الود بينهمو
وزودونا فأغنينا بما علموا

هذي (العروبة) في ناديك سامقة
وهل (فلسطين) إلا (مصر) أو عرفت
أو (العراق) بجنات تغازلها
جميعها فلذات من أبوتكم
جاءوا على سفر مضنٍ فما تعبوا
وإن يكن زادهم علمًا وتجربةً
ونصطفيك بإخلاص نعز له
كم بين مؤتمر ماضٍ ومؤتمر
ونافسونا فبزوننا بما بحثوا

* * *

مثل العروس إذا خطّابها ازدحموا
قلائد الفن تُستوحى فتننتظم
والموج مصطفق حينًا ومحتدم
أو علّه مثلنا للنور يفتنم
وأنت رائد آمال الألى حلموا
حتى لينسى الأسى والويل والألم
حين الممالك أشلاء هوت ودمُ
تفشي الدمار توالى عندك النعم
يشوي الشعوب تعافى (النيل) و(الهرم)
لولا الأثانية الدنيا لما اختصموا
وليس في منتهى الإيثار ما يصم

(إسكندرية) رفت في مباحجها
بنت الحضارات لم تبرح معالمها
والبحر يصغي كما تصغي مشاعرها
ألم يشارك هوانا أو عواطفنا؟
هذا مجال خيال الشعر رائده
والحرب تستعبد الإنسان جامحة
إنا احتشدنا لعلم نستعز به
وحينما أرسل الطاغوت صيحته
وحين كل جحيم صارخ لجب
هذي أنانية الدنيا تضرجها
وأنت تضرب للإيثار أمثلةً

كأنَّ سيرتك الزهراء معجزة
لعل في يومنا فألاً لخير غد
حيثُ مدينتنا الغناء طلعتكم
واسترجعت من عصور زهو جامعة
فإن شكرنا على الترحيب يغمرنا
في عالم ملؤه الأوزار والرمم
حين السلام وحيث العدل والشمم
فإنَّ أضواءها من حولكم نغم
كانت تعلمُّ للأجيال من حكموا
فلا اللسان بمعوان ولا القلم!

* * *

يا عهد (فاروق) هذا عهد أمتنا:
إننا أمنا بظلم من رعايته
والعدل ليس بعدل في جلالته
يا وارتأ عرش (بطليموس) مقتدرًا
تيمنت باسمك المحبوب نهضتنا
فكل فضل جديد أنت معلنه
عمر مديد من الإبداع رنقه
وزدته أنت تدعيمًا وتزكيةً
إنَّ الملوك ملوك من شمائلهم
عهد الولاء الذي ترقى له الذمم
ففي رعايته عدل لمن ظلموا
إن لم يعمم وهذا عدله عمم
ترف في نكرك الآمال والعلم
كما انتشت حوله الآثار تلتئم
له الأصالة في التاريخ والقدم
أجدادك الغر من شادوا ومن فهموا
فمن مبادئك الدولت تدعم
قبل العروش وإنَّ جلت وإنَّ عظموا!

تحية الملوك

(لمناسبة إهداء الدكتوراه الفخرية إلى الملك فاروق الأول بجامعة الإسكندرية إثر افتتاح كلية الطب بهذه الجامعة.)

بالمهرجان مدينة (الإسكندر)
وخلعت أنت وضاءة الأدب الثري
بمشاهد لم تفتقر لمصور
والعصر عصر تناحر وتجر
آمالها لمُنَاطِر ومذْكَر
فكأنها سارت بموكب (قيصر)
فكذلك الحسنة للمتنبز
فلقد تأدب عن هوى المستهتر
تسري بإعجاب الربيع المبكر
بحفاوة لم تجتمع في منظر
بين الملوك حفاوة لا تمترى
فتراجعت في صدمة وتعثر
عشقتة واستوحته للآتي السري
وروائع للمجد لم تتغير

مولاي! رحبت الثقافة وانتشت
خلعت ملاحظتها على أفراننا
وتنافست صور الطبيعة والورى
ما كل يوم للثقافة مؤئل
هتفت لمقدمك القرون ورددت
وتألق اليوم السعيد بشمسه
إن كان حَجَّبَها الغمام هنيهة
أو كان داعبها الغمام بوكفه
وكنما النسما في هذي الربى
وتردد الأنفاس من أنفاسنا
بالبفتح الملك الأبى وحسبه
وشجاعة حين الكوارث روعت
وشمائل في البر بين رعية
أين التفت رأيت جمَّ متاحف

عاشت بإيمان العظام واعتلت
إن كان عفاها الزمان فإنها
والبحر حول سياجها متهافت
لغة الطفولة ما حكاها وما حكت
يصغي إليها الشاعرون كأنهم
لا الحرب هدتها ولا أيدي البلى
قد عاد يخدمها بذلة صاغر
وكأن حرمتها ديانة عالم
وأضفت أنت إلى جلالها غنى
وبفتح (جامعة) بيمينك عرفت
ولعل (دينوكرات)^٢ بين جموعنا
يُصغي ويهتف مثلنا لمدينة
تجري الحياة بها فنوناً جمّة
ولعل مدرسة (البطالسة) الألى
وكأنما لما تقمص روحنا

* * *

نُخب العلوم العاليات تسابقت
رفعت إليه تحية إعجابها
والطب لم يسعد بيوم حافل
تلك الوثيقة عهدنا ووفائنا
أبهى وأكرم من خرائط دولة
ولأنت أشرف من يجل رموزها
في خطب بشر العاهل المستبشر
بهدية جازت ظنون مقدر
أسنى وأجمل أو عبير مسكر
في خدمة الفكر العظيم المثمر
تجتاح في حرب وغزو مقفر
ويزيد من إحائها لمعبر

^١ منارة الإسكندرية — إحدى العجائب السبع للعالم القديمة.

^٢ دينوكرات: هو المهندس الذي عهد إليه الإسكندر في تخطيط مدينة الإسكندرية.

^٣ سوتر: هو بطليموس الأول الذي بدأت الإسكندرية تتعرع في عهده وكان مؤرخاً جليلاً عظيم البر بالعلم والعلماء.

تحية الملك

تفنى الحروب بما جنته ودونها تبقى الحياة لباحث ومفكر

* * *

مولاي! غنى الشعر في أفيائكم وتراقصت رباته للمزهر
ولمحتُ كوكبةً بها أعلامه يتزاحمون لوحيك المستأثر
هرعوا، وكلُّ سكندري خالد من ذلك الأمس النضير المزهر
تبعوا (تيوكريتيس)٤ وهو موقَّع لحن الجمال لشاعر وشويعر
فسبقتهم كيما أفوز بسمعكم قبل النجوم، ولست بالمستغفر
وسعت شمائلكم محبة شعبكم من حاضر حيٍّ وناء مضمّر
فسلم ملك (النيل) رمز فخاره لا رمز عصر مائل، بل أعصر!

١٩٤٣

٤ تيوكريتيس: هو أول اثنين من فحول الشعراء السكندريين، وقد اشتهر بشعره في جمال الطبيعة.

الموتى المشردون!

(وجهت إلى جلالة الملك فاروق الأول.)

مولاي! حبُّ الشعب أعظم ثروة
كن أنت رائده ووزع أرضه
ما شأن آلاف الفدادين^٢ التي
ذهبوا بأرجاء البلاد تشردًا
وجميعهم موتى، وتلك لحودهم
تركوا المقابر صاغرين فعيشهم
وتجاوبوا بأنينهم وسقامهم
أنت العظيم، فلا تدع إخلاصهم
بل لا تدعهم في الورى أمثلة
لك من كنوز التاج والسلطان
لبنيه (كالفاروق)^١ في الإحسان
هي كالمقابر للسواد العاني؟!
وتكفنوا بمذلة وهوانٍ
ملء الضياع الفخمة العمرانِ
ومماتهم بهوانهم سيان
وجراحهم في عالم البهتان
لك يُستباح بلا هدى وأمانى
لتدهور الإنسان بالإنسان!

١٩٤٣

^١ الخليفة العادل عمر بن الخطاب.

^٢ ضياع الإقطاعيين الذين يملكون على قلتهم معظم ثروة الأمة حينما الأغلبية الساحقة منها في حكم الموتى المشردين.

الحنين

كم يستبد الحنين! وأواه لو تعلمين
وكم يئنُّ فؤادي وما شكوت الأنين
كأنَّ باقي عذابي فروض نسكِ ودين
كأن طول احتمالي عنمُ لقلبي الغبين
ساءلت عني ولكن شكي يردُّ اليقين
وكلما زدت قريبًا بعدتُ أو تبعدين
ألقاك نشوان لكن حزني بقلبي دفين
على جمال مضاع ما كان للعبثين
أولى به وحيُّ فين ووحى حبِّ أمين
لكم هتفت بشعري فبات شعري الثمين
وشع خمراً حللاً من فيك للظامئين
أصغي إليك بحلمي وأنت حلمي المبين
في حيرة لم تكيف على امتحان السنين
أصار فني عزيزاً في حين حبي مهين؟
أحفلين بشعري ولست بي تحفلين؟!

* * *

وليلة من نعيم أطعتُ فيها الحنين

وما ارتضيتُ شكوكي
وما طُبعتُ عليه
كأنَّما البدرُ أوحى
فسرت أنفض همي
في موكب من خيالي
كأنَّما فيه سارت
كأن (فينوس) غنَّت
وذا (كيوبد) ير
فيضحكون سكارى
إن يبدع النور وهمًا
تلك الطيور لداتي
إن يخذل الناس فني
قد عودتني احتفاءً
كم شجعتني بعطف
كم صاحبتي لصفو
وجئتُ جنَّة أنسي
وما أردت فكاغًا
لكن جعلتُ ابتهالي
كأن روعي قصيدُ
كأنَّ قلبي المعنى
ساد التجاوب فينا
وقد تناولت كأسِي
كأن (باخوس) أوحى
من عالم سرمدي
نروي ونحكي وننسى
وأنتِ أسنى وأبهى
حتى أذنت بلثم

ونهي عقلِ رصينُ
من الحياء الكمينُ
إليَّ ما تشتهينُ
والنور برء الحزينُ
يخص بالشاعرينُ
عواطف الخالقينُ
ملاحم العاشقينُ
مي السهام في اللاعبينُ
وكلُّ قلب طعينُ
فلست في الواهمينُ
وليس فيها كنينُ
فليس فيها ظنينُ
كإخوتي في الفنون
فكان همِّي يهونُ
والصفو سر مصونُ
كأنَّ أنسي رهينُ
لو أنَّما تأذنينُ
تصوف العابدينُ
يذوب للملهمينُ
قد ردَّ للفاتحينُ
فلم يعد يستكينُ
من الغرام الضنينُ
بكل ما تبذلينُ
للحب أو للفنون
ونحن في الحالينُ
من كل ما تُبدعينُ
لنور ذاك الجبينُ

الحنين

فما لثمتك حتى سموت في الخالدين
وما تركتك إلا رجعت مثل السجين
مستسلماً في حنيني إلى عذاب الحنين

١٩٤٣

قبلة ميلادي

يا نشوة الحب القديم ولهفة الحب الجديد
جمعتكما في قبلة سكرى غرامي وعهودي
أودعتها ما صانت الأحلام من عطر الخلود
وسكبتها راح الهوى ودماً من الشوق الشهيد
ثم استعدت خيالها لحناً تألق في نشيدي
ونظمتها شعري الذي يحيا بأنفاس الورود
وخلقت أي هدية منها لميلادي السعيد
وكأنما هي نعمة زُفَّت إلى سمع الوجود
تستمتع الدنيا بها مثلي وتخلد في قصيدي
والكون أحفل بالهوى للشاعر الحر الفريد
من عالم في صخبه يعنو لشيطان مريد
ما سيرّ الأجرام غير الحب في جذب رشيد
أو أبداع الإعجاز غير جماله الموحى البعيد
فترسلي يا فتنتي بحنانك العذب الوليد
ودعيه يزهر نامياً، لا ترهقيه بالقيود
ودعيه يبلغ مثل تحناني وإيماني المجيد
فيعيش توأم مهجتي في عالم الحب الرغيد
لا يعرفان الشيب أو عمراً سوى الخلد المديد

من السماء

وأعود أستوحي وأحيا بين تقبيل جديد
لا شاردًا متعثراً أوي إلى قلبي الشريد
مستمتعاً من حلو ساعاتي بعيدٍ بعدَ عيد
ومخلصاً لك آية الفنان في الفن النضيد

١٩٤٣

الإسكندرية الفنانة

(أنشئت في حفلة رابطة اللوتس بمدينة الإسكندرية التي أُقيمت لتكريم أعضاء هيئة التدريس بجامعة فاروق الأول يوم ٢٥ مارس سنة ١٩٤٣).

الفن أنت فجئتُ أستوحيك
ونعمت بالنجوى فقربك جنة
تتهافت الأجيال حول جمالها
وتحدث الأطفاف في جنباتها
عاشوا وعشت مجاوبًا لندائهم
رقصت محاسنك الوضاء أشعةً
عشقوك واعتزوا بحبك، واهتدوا
وعبدت فاتنة الجميع كأنما
خطرت وموج البحر رَفَّافٌ لها
وجلت على البحر الطروب مفاتنًا
عكست ملاحظتها صباحة (زينب)
والجوُّ موارٍ^٢ بأنغام الهوى

وعبدت ألوانَ الملاحه فيك
خصت بروح الفن دون شريك
كتهافت الأحلام حول ملك
بروائع الآيات من بانيك
بالحب يحييني كما يحييك
وعواطفًا لمنعم وضريك^١
بسناك، واعتصموا بمجد أبيك
خطرت (كلوبطرا) لمستوحيك
وتوشحت بضياك المسبوك
فإذا بحورياته تحكيك
وحكت دعابتها رشاقة (بيكي)
وبكل فتح للغرام وشيك

^١ الضريك: الفقير السيئ الحال.

^٢ موار: مائج، والإشارة في البيت السابق إلى اجتماع الجمال الشرقي والجمال الغربي بمدينة الإسكندرية.

وملاحم الأرباب تعزف فوقها
فوضى من الفن الجميل تناثرت
وتدللت بالعبقري من الغنى
صور قداستها الحياة بذاتها
وأبت لنا إلا الخيال رفيقنا
من ذا يحاكيها ويقدر ما حكى
ويرى ويعرف ما أصالة حبنا

* * *

وحلا الشروق، وطاب صوت الديك
وطلاوة، فلعله يكفيك
يتفنن الشعراء في ناديك
بين الدياتر والدم المسفوك
وهمو أحق بمدحة ترضيك
حلو البيان سقاه من يسقيك
واسترجعوا ماضيه من ماضيك
وبيقيت أنت لنا ومن غنوك
تروي كما يروي الهوى من فيك
لما انتشت وحتت على أهليك
و(الفن) كان ولم يزل واقيك
قد نزهت عن عاطل وركيك
لا مثل أشعاري لفنانيك!

١٩٤٣

^٣ أريك (جمع أريكة): عروش.

^٤ المجنون والمفلوك والصلوك — إشارات إلى الغزليين البوهيميين من الشعراء.

^٥ أفروديت: إلهة غانيات الإسكندرية.

^٦ السربيوم: معبد الإسكندرية العظيم الذي هدمه البطريك تيوفيلس.

^٧ شأو: قدر — أي ما يجدر بهم.

الفن الضائع

(مهداة إلى فتاة المندرة برمل الإسكندرية.)

لمن تمنحين الحب دوني عن عمد؟
وماذا يرجى الحب من شاعر بعدي؟
وحسبك أولى أن يُصان جلاله
على الفن، حين الفن كالحسن للخلد
وما عالم الناس الذين تطاولوا
سوى عالم بين النفاية والكيد
ترفعت عن أن تسكنيه فحاذري
وخلي الهوى والحسن ديناً لمستهدي
ولا تتركي الأيام تنهب خاطري
وتعصف – ما شاءت – بحبي أو وجدي
فإنني تراث للملاحة والهوى
فإن ضاع لم يسعدك غبني أو فقدي
لئن كان من حق الجمال عبادتي
فمن حق مثلي أن يكلل بالمجد
وأن يغمر الحب الكريم فؤاده
جزاءً، وأن يعفى من الشك والصد

* * *

من السماء

مضى العام وانجاب (الربيع) عن المنى
ولو أنّ آلامي تباعدن عن عدي
ولو أنّ أحلامي هي الهم والجوى
على عالمٍ بالثكل واليتم ممتد
تسربل بالظلمات وهي صواعق
وماشى الخراب الهول في الزمن الرغد
فصارت به الجنات نار جهنّم
ويا ليتهّا! فالحرب تعدي وتستعدي
ذكرتك محزونًا جريحًا معذبًا
كأنّي ألقى الطعن في معرك وحدي
وقد كفكف الحاني (الربيع) مدامعي
وإن زادت النسّمات — ما شئن — من وقدي
فأحسست بالسلوى تسلسل في دمي
تسلسل ماء النبع في الظامئ الورد
وقد ناله لفح الهجير بقسوة
فعاد يفض العطر في نفح معتد
فهل لك أنّ تصغي إليّ فربما
أذبتُ فؤادي في النشيد بلا عود
كما ذاب عطر الورد في بسماته
وداعًا لمن يهوى ومات بلا حمد؟!
* * *

ويا جارتى ما أبعد القُرب بيننا
وذلك خوفاً صير القرب كالبعدا!
أناجيك في دقات قلبي والهّا
كأنّ فؤادي طائرٌ رفّ في القيدِ
يحن إلى من قاته وأفاءه
ولو أنّهُ في أسره ضائع الجهد

الفن الضائع

وأخشاك رغم الحب، لا عن ضلالة
ولكن كخوف القانت الواله العبد
وكم تمتمت نفسي بشعر محبب
أغرده في خدرك الساحر الوعد
فلما تلاقينا نسيت ضراعتي
ولم تبق لي إلا حشاشة منهد
وقد حالت الأنفاس شعري وحدها
وكم تحمل الأنفاس من قبَل عندي
إذا لم تترجم في لُغى الحب فالهوى
سيغفر ما أودى بشاعرك الفرد!

* * *

بروحي من أحلام عمري ساعة
جلست وموج البحر مثلي في زهدي
على الشاطئ المسحور أنت صخوره
وغنت به الأمواه للحجر الصلد
أراقب عن بعد جمالك ناشراً
على الماء ألوان الرشاقة والصيد
فيغنم عشاق دعابتك التي
تخاطفها مثل الجواهر مستجدي
وأقنع بالحلم البعيد ووحدتي
كأنَّ حيائي قام دونك كالسد
ولكن خيالي لم يُذللُّه حائل
فنال من القد المنعم والخد
وسابق موج البحر في وثباته
وبز شعاع النور في اللهو والجد
فكنت على بعدي المنعم ظافراً
بما لم ينل منك المقرب والمسدي

من السماء

أتوا بالهدايا الحاليات رواقصًا
وأخفيت قرباني من الطاهر الود
ولم تلمحيني في تلاهيك حينما
تحدثت الأمواج للكثب الجرد
وقد نثرت فوق الرمال تحية
من اللؤلؤ الغالي الذي جل عن عقد
تلقفها شعري وكاد يصوغها
لحسنك معنى لا يقاس بما تبدي
ولكن دنا العاتي الغروب فلم أفق
من الحلم إلا بعد أن فاتني رشدي
وقد ردد الموج الشجي تأوهي
وجاوبه في خطوه الحارس الجندي^١

* * *

يعيش على الوهم المجنح شاعر
وكم باعه للوجد حينًا وللشهد
ويرضى بأدناه عزاء ونعمة
على حين لا يرضى بدنيا من السعد
له كبرياء المستهين بما يرى
ووثب خيال المستعز بما يسدي
لئن صاحب الحرمان يدميه نصله
لقد أثر التعذيب حرًا على الضمد
لئن أعرضت عنه الغواني لقد شدت
بتقديسه الربات في عالم فرد
تنزه عمن حاربوا الفن والهوى
وأولهم من لو درت قدست عهدي

^١ حارس الشاطئ.

الفن الضائع

ولم تتكلف كل ما هو متلفي
ولم تسقني الصاب المموه بالشهد
ولم تتحدث عن نشيدي وروعتي
بحب وإعجاب كأنهما ضدي!
ولم تدخر أنساً لمن عاش عابداً
مفاتها ثم انتهى شبه مرتد

* * *

لمن فتن الحسن الذي جلّ عن حد؟
لمن شغف القلب الذي صين عن ند؟
إذا لم يكن هذا الجمال لشاعر
فما لي على فوضى التهافت من رد
حرام ضياع الورد في غير أهله
وظلم مमत النور والعطر في اللحد!
ولست ألوم الواردين تهافتوا
ولكن ألوم الحسن يعبث بالورد
وما أفسد الإحسان إلا ابتذاله
ولا قدر الإحسان إلا على قيد
سيأتي زمان تندمين على هوى
أضعت، ويا للحب ضاع من الأيدي!

* * *

ولكنّها أصغت إليّ بروحها
على النأي، والإيحاء للروح قد يعدي
كأنّ ولوعي زاجر ليس ينتهي
يحاورها باللطف حيناً وبالنقد
ويلقي حواليتها الشباك رقيقة
فما كان عن صيد الفراشة من بد

من السماء

فلمّا التقينا بعد هجر وترحة
وكنت افتقدت الحب في القلق المردي
أعادته مبعوثًا وضيئًا مرفرفًا
كما رفرِفَ الفجر الوليد على المهد
فهل يستعيد الحب ماضي رجائه
ويسمو على الحرمان والخوف والحدق
ويبني لنا ملكًا يعز نواله
على غير فنّان طليق من القيد
أم المثل الدنيا تهد مثاله
وترجعه نهبًا لأيامه التلد؟!

١٩٤٣

دمعة وابتسامة

(١) كتاب خليل مطران بك

طبعة في ١٩٤٤

عزيزي الناشر الدكتور احمد مكي ابو اسرار

جاءني كتابك وانا في شوق اليك هو شوق ارب البار الى ابنه ابيس
رشوق الصديقت الصديق الى من يوده بقلبه ويكبره بعقله وقد حرم لقاءه زمانيا.
لقد سددت الي احتيازا احمد محرم محمد يدا بان ذكرني لك كيكه وكان سببا في وصل
ما انقطع عني سر ابناءك السارة فشكرا لربك على العزيمة الفحل واوديعك الكبير.
كتابك - وما كرهه كتابك - اعاد الي نفسي حلوة ذكريات من ايام المحرم
والدرة العظيم . ومن تلك الذكريات انك لم تكتب الي قط الا وقد اهديت عيشا غيبا
وفي سالكك سليم صهني براءه ما كان اروعني اليه فان سمعتك بـ تفضل ما افقدني
علما است من النشاط فالفضل في ذلكه فأؤد اليك وما اقل جبانته الشنا عليك
لا تحسني يا ابني ابيس زيارته ولو دقائق معدودة اذا جئت الغامرة
وستلقى بزه الزياره فلما في شينها تـ نبغات قلب ابيك رحمه
تمتلك اركي قياتي وراحتك ودم سعيا معاني مؤثقا كـ المخلص
خليل مطران

مصغر عن الأصل.

(٢) رد صاحب الديوان

وسكوتي عذاب رُوح يُعاني
وصفير القنابل المتداني
وصراخ الورى بكل مكان
وبقايا المتاع والجدران
ي، وقد عريت عن الأكفان
ك، ولا الحرب بأهوالها لنا كل آن
قي على العهد في مدار الزمان
لأهلي، لشعبنا الغفلان
ولو ضاع في افتنان الجبان!
وملاذي كأنه ديانى
وأعرنا خوالد الألحان
ضى، فيكفيك منتهى إيماني!

دمعتي وابتسامتي توأمان
ليس قصف المدافع الليل حولي
والخراب الذي تطاير قربي
وعويل النساء حول الضحايا
والظلام الذي يكفن دنيا
ليس هذا، وليس ذا
بالتى تلجم المحب لك البا
إنما ملجمي تعذب وجداني
الذي لم يزل على اللهو، مفتنًا
يا صديقي ويا إمامي وعمي
عش مديدًا بصحة وحبور
ليس كتبي وليس شخصي سوى بعـ

مجدا

(تحية للطفلة العزيزة كريمة الصديق الأستاذ الدكتور حنا برسوم.)

ستبلغين المجدا	مجدا يا مجدا
إلى الحياة الزاهرة	تبسمي يا شاعرة
النور والأنغام	واستقبلي الأعواما
وصفو أحلام الصبا	والأمل المستعذبا
واستبقي الأحلاما	واستعجلي الأياما
استأذنا المفراحا	لتدركي (مصباحا)¹
من أنسه أو زفة	وتنعمي بجلسة
مؤله معبود	كأنه (الرشيد)
والحور والولدان	تحفة القيان
إمام دين مفرد	ويرتجي في (المعهد)
كالشهد حلواً يُجتني	يوزع الأنس لنا
ولا بدنياهم درى	ولا يبالي بالورى
لا عيش أرض والهة	يحيا حياة الآلهة
فيرقص الأربابا	ويشرب الأنخابا

¹ الدكتور عبد الغني مصباح — رجل الظرف والمرح.

من السماء

فأسرعي يا طفلي
أبوك مثلي منعم
وإن يكن مستأثرًا
إلى المجاني الحلوة
بفنه ومغرم
بسرّه مفاخرًا

١٩٤٣

بسمه الأرض

(مهداة إلى ابنتي العزيزة هدى.)

بسمه الأرض لوجداني معانٍ كم أراها
كنزتها مهجتي الفرحى إذا فاتت سواها
والربيع الحلو يسقيني سناها وجناها
فإذاها في صميم النفس تحيا في رؤاها
جسمتها صلواتي وحناني لهواها
مثلما الصوفي في وجدانه شام الإلهاء!

* * *

يا ابنتي، يا «طفلي»، يا من مسرّاتي رضاها
إن شببت الآن فالأعوام في ماضي مناهها
كلما جاء ربيع بهواها نتلاهي
ذاكرين «الطفلة» الحلوة نورًا وانتباهها
وسألنا أمنا (الأرض) رضاها ودعاها
فتجلت في ابتسام وأشاعته شذاها
وتقاسمنا على حبك دنيا من نداها

عابر سبيل

الربيع

إصدحي يا خواطري
وارقصي رقص حرّة
كل حلم عشقته
جاء في موكب سَمَا
لم يعد بعد خافيًا
لم تكن روحه سوى
جاء سمحًا مغردًا
أشرب النور والهوى
وهو يعطي كأنما
قلت: مهلاً! وإن أكن
وادخر بعضه، عسى
فيناجي صبابتي
نتلاقى وخمره
قال: مهلاً؟! ومن أنا
لم تفرق سماحتي
لم أسوف ولم أكن

وامرحي يا مشاعري
غالبت كل أسر
عاد حيًا لناظري
(بالربيع) المجاهر
سرّه عن سرائري
روح فن مسامر
ساحرًا أي ساحر
مسرفًا وهو عاذري
ردّ دينًا لخاطري
ظامئًا غير صابر
يرتوي منه هاجري
بهوى منه نادر
بين همس الأزاهر
غير إحسان عابر؟!
بين عان وقادر
بالبخيل المحاذر

لم أحاسب مبدئاً
أجلب الفرحة التي
كل شيء مَسَّسْتَه
إنَّ حبي عبادة
إنَّ حظي رسالة
إنَّ عُمرِي هُنِيهَةٌ
وهو عمر مجدِّدٌ
خاطفًا من جواهري
هي دنيا البشائر
ماس في سمت قاهر
لم تلوث بكافر
ألفت كل نافر
للمنى والنواظر
في نهى كل شاعر!

١٩٤٣

الوفاء

(تحية حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا.)

مغاني (اسكندرية) إن أضاءت
لقد حجبوا نوافذها^١ فشعت
وحيثك (الطبيعة) حين حيث
إذا عيب الجحود فأبي عيب
وإن عبدتك منقذها المفدى
فمن شوقٍ إلى الحر الزعيم
بتحنان الحميم إلى الحميم
كأنَّ البدر في عيد مقيم
إذا غمرتك بالحبِّ الصميم
ولم تعباً بشيطان رجيم

١٩٤٣

^١ إشارة إلى إظلام المدينة إبان الحرب الكبرى.

الصيف

(عند شاطئ إستاني برمل الإسكندرية بعد غيبة أعوام.)

بالعشب حين الغانيات عواري؟
والموج بين معانق ومواري
إلا شعور السخر باستهتاري
حياك من وصفوك من أشعاري؟
والزهدي لم يسلم من الفجار
في الفن وانصبا مع التيار
ما ألبستك يد الشتاء الضاري
قد عاد بعد لواعج الأسفار
ومن الضياء ذخائر وعواري
للحب بين النار والأنوار
للفن واحتكمت على الأنظار
فيها القلوب بجنة معطار
وكأنها حورية الأسحار
ما صُنَّ للفنان من أسرار
ما يستهين بطائش الثوار
في هذه الألوان والآثار
فيم (الحياة) استسلمت لإسار؟

ما للصحور العاريات تذررت
فارقتها في رقصة وتجرد
ورجعت أرقبها فلم أر عندها
لم يا صحور وقد وصفتك قبلما
إن كنت زاهدة فإنني زاهد
حين التعبد والحنان تلاقيا
(الصيف) أقبل فاخلي لحنانه
واستقبلي الأمواج مثل مشوق
وتشربي الأضواء فهي ذخيرة
هذي الجسوم العاريات هياكل
لا تسأمي نظرًا إليها إن وفيت
وتبتلت فيها العقول وحومت
وتخطرت و(الصيف) فرحان بها
أهدى إلى الشعراء من آلائه
في كل لون من ظلال حرة
أنا ما أثمرت بنظرتي وتصوفي
فيم (الطبيعة) إن جحدت بناتها؟

من السماء

فتَسَمَّعت لتوسلي، وتجاوبت
وتلمست شمس الغروب فأعتقت
حتى إذا شربت توهج لونها
وتأملني، وتأثرت بحواري
من دنَّها المكنوز للخمار
بالنار وارتفعت على الأحجار

١٩٤٣

يوم الجامعة

(حفاوة جامعة فاروق الأول بالرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا وبرجال حكومته في الحفلة الختامية لعامها الدراسي الأول يوم ٧ مايو سنة ١٩٤٣م.)

اليوم يوم تحية وفخار
حفل الزعيم وصحبه بندائه
والنور كان ولم يزل في قدسه
فاعتز من إعزازهم لندائه
كل الجوارح شاخصات نحوه
ودعا إليه العبقري أديبنا
فاستلهم المتوثبون شعوره
وأثابه خلق الوزير ومن ترى
يتساندان جراءة ورجاجة
ويؤرخ الإصلاح من تاريخه
لم لا وهذي نفحة من جهده

تاهت مآثره على «الأثار»
ونداؤه كالنور والنوار
للعلم خير لغى وخير شعار
وازداد إكبارًا على إكبار
في متعة وتأملٍ وحوار
(طه)^١ بوثبة خالق جبار
وأضاف (للأيام)^٢ يوم فخار
(كنجيب)^٣ في الأسماع والأبصار
في دفع مظلمة ورفع عثار
فحياته كنز من الأسفار
وضّاءة بالحب والإيثار؟

^١ الدكتور طه حسين بك.

^٢ كتاب (الأيام) للدكتور طه حسين بك.

^٣ أحمد نجيب الهلالي باشا.

شرفت بها (الإسكندرية) مثلما
ما كان يجمل بي التغني باسمه
وهو الذي قد ظل عمرًا ثائرًا
لكن تأدية الحقوق أمانة
شرفت بسيرة جدها المغوار
وأنا الأبي على رضى الأقدار
وأنا الطليق بموكب الثوار
وكذا الأمانة شيمة الأحرار!

* * *

يا (مصطفى) اليوم تجمعنا المُنَى
باهت بحبك أمة لا عصابة
ما أنت تعشقه يعيش ويعتلي
فإذا وهبت لنا رعاية ماجد
ولنا ضمان الخالدين وما لنا
أثني عليك ولا أطيل فإنَّما
من كان ينعم بالمحبة حوله
من كان يقرن بالنزاهة فضله
من كان يُعطي الشعب من إيمانه
كم خضت أشتات المعارك هازئًا
تطأ الحوادث والصعاب وترتقي
ومصارع الأهواء تجتاح الورى
ولكم بكينا من هووا بغرورهم
يا طالما علمتنا ما ينبغي
واليوم مجلى بعض ما أسديته
إن جئت أنشد للولاء تحيتي
منظومة في حبك المختار
فسما بجامعة سمو منار
وَلَوْ أَنَّهُ مَلَقَى مِنَ الْأَحْجَارِ
فلنا ازدهاء الكوكب السيار
عن غاية الإحسان من أعدار
أغلى الثناء يسان في إضماري
أغنته عن مدح وعن أزهار
أبدًا فما أسماه عن أوطار
لِبَّاهِ فِي بَذْلِ وَفِي أخطار
ورجعت لم يمسسك نقع غبار
هَامَ الزمان مكللاً بالغار
ولطالما نزحوا مع التيار
وصمدت أنت ودست صرعى العار
للعالم المتعلم الصبار
واليوم مجنى الشهد للمشتار
فهى الوفاء أطلَّ من أشعاري!

الخائن الجبار

(رفع صاحب الديوان هذه الأبيات إلى زعيم مصر مصطفى النحاس باشا الذي يضم حزبه التقدمي «الوفد المصري» العديد من الإقطاعيين كسائر الأحزاب المصرية الرئيسية).

إلى خليفة (سعد) في مآثره
دعاء قلب وفي لا يُغيّره
لا يشتهي غير إعزاز لأمته
ما بالها أصبحت نهبًا لكابرها
من علم الخائن الجبار^١ يرهقها
حاتم تذعن للإقطاع صاغرة
لا يستوي أن تغيث الشعب من خطر
ولا المباهاة في فقر وفي مرضٍ

وفي محبة (مصر) ملء خاطره
بُعد وقرب، فماضيه كحاضره
وكل فخر لها معنى مفاخره
وهو ابنها المتمادي في كبائره
وأنت للشعب حام من جبابره
ومثل أنيابه دامي أظافره؟
وأن تبيح عديدًا من مخاطره
على الجهالة في أغلال أسره!

فن الجحود

مبالغتي في الحمد تصغر من ديني
عليّ وإن عاشوا على الغدر والمين
جحودًا، وهاموا بالنكاية والغبن
وأصغر من فضلي عليهم وأستغني
وإن عجزوا، حظ تمثل في عيني
وجازوا سموي بالتحامل والمن
ومن بادل الإحسان بالكيد والظعن
وقد حسبوا أن الجحود من الفن!

تعودت عرفان الجميل ولا أرى
كأنني استطبت الفضل للناس كلهم
وكم فاخروا بالسيئات وأسرفوا
أحاول تعظيم الأيادي التي لهم
كأن شعوري أن أراهم أكارمًا،
فلم أر منهم غير إصغار نخوتي
لذن قدسوا من سامهم كل نكبة
كذلك حال الناس في كل بيئة

حواء تندم!

ويلتهم البحر أنوارها
تناسى الجنان وأنهارها
فيجني من اللهو أثمارها
وتغنم من حبه ثارها
صريعاً فهيج تذكّارها
فمات وفارق مضمارها
ة وهي تبدد أعمارها
وقد ذوبت فوقها نارها
ويفني متى نال أبكارها
ولو أسدل الليل أستارها
عرائس تنشد أشعارها
ولم تصحب الموج زوارها
تمثل للحب أدوارها
أفاضت على الكون أسرارها
فغنّى ومجد خمّارها
وألهم (حواء) أوطارها
كما عانقت باسمه جارها:
على جنة جزت أسوارها

جثت تلهم البحر أسرارها
و(آدم) في قريبا شاعر
يغازلها لاعباً صاخباً
ويقطف من أنسها للحياة
وقد سقط الموج بعد الكلال
وقد طارده بنات البحار
ولم ترثه غير لهفى الأشع
فتسكبها في الحصى والرمال
ويرجع مبعوثه للغرام
وتبقى الرواية لا تنتهي
وقد سبحت في المياه الصخور
فما بقيت برهة في مكان
تراوغه وهي في رقصها
كأنّ (الطبيعة) لما انتشت
وقد أسكرت كل ما حولها
فقبّل (آدم) حواءه
فقالته وقد ثملت من هوى
«ندمت وما ندمي للفراق

من السماء

وأصبحت من بعدها حرة
ولكن لأنني لم أجتري
فضيعت عمرًا بها طائلاً
وأين الجنان — جنان السماء

وما حررت ثم أطيّارها
قديمًا ونادمت أشجارها
كأنني ساويت أحجارها
من الأرض تكرم من زارها؟!»

١٩٤٤

حوريات الماء

من وحي شاطئ استانلي برمل الإسكندرية

اللاعبات بلبي المستحيات
غناء في طرف للفن أشتات
وسرن للفن آيات وآيات
بل في تعثرها أحلى الرشاقات
ومعرض من معان عبقریات
نبح الحياة لأنضاء وأموات
خمرًا ونارًا بلذات ولذات
دق النواقيس في مجلى العبادات
ورف قلبي لها في طي أهاتي
إلا استحال إلى خمر وجنات
إلا وتاه سعيدًا في ضلالاتي
إن لم يخلد بأشعاري وآياتي
من الحياة ولم يصقل بمرآتي
ولم أذقه شهياً من سلافاتي
حتى أعيش بها في عمري الآتي

يا للهوى والغواني الساحليات
الخاطرات أمامي في مغازلة
عفن الملابس إلا ما تبوح لنا
وللرشاقة لون في تعثرها
في موكب من أمان شبه ربات
تلقّف الأدب المحروم متعتها
وأمعن النظر المشدوه محتسبًا
وتابع القلب دقات خطون بها
رفت أنوثتها في كل جارحة
لم تلفح الشمس هذا الجسم عابثة
وما تأمل لحظي في مفاتها
يا ضيعة الحسن واللون الرفيف به
ولم يسجل بألحان معطرة
ولم أشمه طويلاً في مناجاتي
ولم أطعم ترانيمي بنفحته

من السماء

حتى أهيم كموج البحر منطلقاً وقد يزل ولكن غير زلاتي!

١٩٤٤

الأمواج

هدهدي بالهدير أيتها الأمواج قلبًا إلى حماك اطمأنا
واسكبي الراحة الحبيبة فيه، أنت براء لمثل قلبي المعنى
تغسلين الحصى، وتلك قلوب بُعثت في الرمال حتى دفنا
ثم جدتها نشورًا وطهرًا، ثم أشبعتها حنانًا ولحنا
وأنا الخاسر الذي جاء يستجدي حياة لديك هيهات تفنى
ما ترانيمك الشجية إلا ما تمنى السلام لما تمنى
تتجلى كثورة وهي أمن، وأحبُّ الثورات ما عاد أمنا
مهرجان الضوء نشوان فيه وتغنّى الهوى به ما تغنى
ما له مبدأ وليس انتهاء لقلوب تراه حسًا ومعنى
كم رويت الغرام عن سالف الدهر وما زال ما تقصين فناً
وتمرين في ثوان بأعمار وتلقين بعد شيبك دفنا
وتكرين للصبي وتعودين بأسنى من الجمال وأسنى
ورتيب الحياة مهما يُحاكي بعضه بعضه تنوع حسنا
هجرت مهجتي الحزينة دنيا كلُّ صفو لها تقاضته دينا
وانتهت حرة إليك فما خاب لها مأمل ولم تلق مينا
كل ما قلته جميل وصدق لو أقمنا للصدق والحسن وزنا
وبحسبي أني أسيرك كالضوء د فوق الشعور أحيًا وأغني
حالم فيك لست أرضى لأحلامي بتفسير فيلسوف تجني

من السماء

أنا حيٌّ مستغرق في الهدير العذب لا يُستعاض وحيًّا ولونا
وكأنَّ الأرباب مثلي حواليه أصاخوا وما اشتهاوا عنه بينا
فثملنا بما حكى واستعدنا، وحديث الأنام لغوٌ لدينا
وحياة الأرباب ليست تُعلَّى ببيان الورى وليست تدنَّى!

١٩٤٤

معركة الحب

ولي غادة ألقتها الحياة
حييتُ أقدّسها شاعرًا
وينأى وإن كان في قُربها
يُداعبها وهي إلهامه
وتغمره بالرضى تارة
ولكنّها حرّمتها عليه
فينعم وهو الكسير الحزين
فعاش على الوهم في نفسه
وإن ضاع في فنه ما أضاعت

وقد أبدع الحب تمثالها
يُغنّي بها ويُغنّي لها
كأن على النأي إجلالها
ووحى الروائع إن قالها
فيلقى الجنان وسلسالها
وإن حلّلت دائمًا آلهَا^١
كأنّ الحقائق ما خالها
وهدأ بالوهم بلبالها
بحرمانه العمر آمالها!

* * *

ويوم أفاء عليه الشتاء
كأنّ جميع الفصول استجابت
تلاّأت الشمس في زهوها
وطافت نساتمه الساحرات

جمالَ (الطبيعة) فاستألها
نداءً له ونداءً لها
ولاطفت السحب أطفالها^٢
عذارى تهدد أمثالها

^١ آلهَا: سرايبها.

^٢ كناية عن أشعة الشمس.

فتوقظ من زهرات نيام
وترقص أعشابها نشوة
وتنعش حتى الجماد النؤم
أجبت (الطبيعة) لما دعت
حججنا إليها فلمَّا مثلنا
ولو أنَّ نفسي تُعاني الحروبَ
فينقذها الفن بالمعجزات
يُعالجها بالهوى العبقريُّ
ويخلقها من جديد مرارًا
ويسعدنا ببينات الخيال
أطلنا التأمّل والفلك تجري
ومن حولنا الغنم الراتعات
فلمَّا رأيت فتاتي انتشت
هويت أعانقها شاعرًا
وما الحسن إلا لأهل الفنون

حسانًا تخيرن سربالها
فتغتفر الأرض إِمحالها
فيزهى ويعرض إجمالها^٣
وكانت فتاتي إقبالها
نسينا الحروب وأهوالها
وكم قطع الهمُّ أوصالها
وقد أصبح الفنُّ مثَّالها
ويرفع بالسحر أحمالها
ويبني ويهدم أطلالها
يحققن في زورة فالها
عرائس تسحب أذيالها^٤
حوى بالننا ما حوى بالها
وأصبح حالي إذن حالها
والثمها لثم من نالها
وما الحبُّ إلا رسولاً لها!

^٣ إجمالها: تجميلها.

^٤ من مشاهد ترعة المحمودية بجيرة الإسكندرية.

قلب لا يشيب!

عوذت قلبك يا حبيبي
ذنبي لديك تلهفي
ما حيلتي في قلبي الـ
تجري السنون ولم يزل
يلهو ويلعب هائمًا
من علم القلب الصغيـ
وتبتلاً كتبتل الـ
مرآك جنته وصو
أولم تُشاهد حلمه
يخشى بعبادك حاسبًا
متهللاً لك، لا يملُ
يرنو إليك بروح منـ
ويتمتم الصلوات كالنـ
في كل توديع عذا
مهما تجلد موهماً
لو تنصف الأرياب لم
وهو الذي خلقته رو
خلقته من نور ومن

من أن يُكدرَ بالمشيب
هل ذاك ذنب يا حبيبي؟
ظمآن للنبع الحبيب؟
طفلاً تنزه عن مشيب
لكن بأحلام الأديب
ر عبادة الحسن العجيب؟
صوفي ذاب على الصليب؟
تك لا حنين العندليب
في يقظة كالمستريب؟
دقات قلبك في وجيب
لُ من التطلع كالغريب
دمج بروحك يا حبيبي
نائي بمجلسك القريب
ب، بل فناء في لهيب
إنَّ الشروق من المغيب
تتركه للوجد الرهيب
ح الفن للفن الأريب
شدو ومن زهر وطيب

من السماء

أنت المحاسب عنه إن لجأ الغرام إلى حسيب!

١٩٤٤

قبلة أعوام

هذا حنيني إليك
هل تخذلين لديك
أهواك أهواك حتى
وبات شعري صمماً
أهواك من كل قلبي
وما ابتهلت لربي
وكنت غاية نعمي
فمن أحبك يوماً
جمعته من سنين
عزيز هذا الحنين؟
أصبحت أخشى اللقاء
وبات صمتي دعاء
ومن جوارح نفسي
إلا تملكك حسي
تألقت في خيالي
لم يرضَ غير المحال!

* * *

يا فرحتي في شجوني
ونشوتي في جنوني
كم يسأم الناس حسناً
وقد عبدتك فناً
ما لي وما للأنام
يا من خلقت غرامي
وكلما مرَّ عام
ولو حواني ظلام
هذا وصالك أحيا
ونعمتي في همومي
وجنتي في جحيمي!
متى رعاهم بعطف
فصار هجرك حتفي!
وهم بخلق العبيد
فما له من مبيد
نما غرامي شباباً
وخان غيري وشاباً
موتى الأمانى الضحية

خلقت بالحب دنيا أسائل (الحظ) عمًّا وهل سأعرف يومًا فيضحك (الحظ) لهوًّا أكان ذلك سهوًّا أسائل (الحظ) حتى حتى أجاب وأفتى وقال: دونك وعدي لمَ التساؤل عندي هذا الجمال وفيّ فما الأبويُّ أبويُّ

للسحر والعبقريّة أباحه من جناها كما - اشتھيت - مداها؟ ولا يحير جوابا أم عد حبي عابا؟ يبر بي أو يلين أني من الملممين أنجزته فتقدم! وأنت بالحب أعلم؟! وأنت تشكو الطواف إلا على من يخاف!

* * *

ومذ أجازت هيامي جعلت لثمي كلامي فحاسبتني عسيرًا وبادلتني شعورًا قبلتها وكأني ونلت مجدًا لفني قبلتها وهي سكري وكان لثمي سكرًا لثمتها وهي ظمأى وما ارتويت لأنأى تنفست عن عبير واستسلمت في كثير وأغمضت دون عيني هيهات تسديد ديني يا للشفاه اللواتي

بنفحة من وفاء فلم يمت في الهواء! لكن حساب الكريم من الحنان المقيم رشفت عمرًا جديدًا وحزت كنزًا فريدًا بنشوتي في يديّ بدا على وجنتي مثلي، وتُخفي الظماء لو كان يُجدي ارتواء عبير زهر أسير من الدلال الكسير لحظًا رفيق النعاس لو أن ديني يُقاس! نبضن بالحب شعرًا

قبلة أعوام

وهبتهن حياتي رشفاً أسيراً وحرّاً
ووسدت في ذراعي رأساً زهاً بالجمال
فكيف كيف امتناعي عن السلاف الحلال؟!

١٩٤٤

أنانية الجمال

الصبا والجمال يجتمعان
أتملاكِ ساهمًا شاردا لللب
وأرى لذتي بقربك حرما
وكلأن العذاب أشهى جزاء
في محياك روعة للبيان
بروح الصوفي والفنان
ني، وبعض اللذات في الحرمان
للمحب الوفي والمتفاني!

* * *

ايه يا من لها غرامي مهما
أنت روعي، وأي ذنب لروحي
أنت سيان في كيانك جسما
وشعور الفنان دون حدود
إن تمنعت أي صب هو الأحـ
وصلاة الفنان ملء احتضان الحسـ
كم معانٍ يوحى بها الوصل للشا
إن تناءيت أو تأبيت ضيعـ
ليس شعر الحرمان مهما تسامى
والجمال الذي يقدر لا ينـ
يخلق الدهر أو تمت بي الأمانى
أن تناهت بعالم روحاني
وشعورًا مصورًا لافتتاني
فعلام القيود في ميداني؟
رى بحسن منوع الألوان؟
ن لا في الصدود والامتهان
عر عزت من قبل، بل كم أغاني!
ت على الفن فن صب يعاني
مثل شعر التجاوب الفتان
سى حقوق العباد في كل أن!

* * *

إلفك العمر يا ملاذي وإلها
مي ويا من غرامها ديواني

كم أضحى معذبًا، كم تسرّيت
لو قدرت الذي أكن من الحب
إنّما أنت في سمائك والرب
لا تبالين أن تضحى قليلاً
عذرك الجم أنّ صفوك شيء
لغة عذبة الطفولة تنسى
فاعذريني إذا لجأت إلى (الأر
شاكياً منك، سائلاً طبها الشا
ن، وكم تُستطاب لي نيرانني
بِ لكنت ارتضيت ما أرضاني
ات فوق الورى وفوق الزمان
لحياة الورود والريحان
غير صفوي، وشأنه غير شاني
كل شيء سوى رضاها الأناني
ض) وبدلتها وفيًا حناني
في، وأين الشفاء للولهان!؟

غرام وانتقام

رثاء أسمهان

أيندثر الفن؟! يا للقدر
ويغرق في اليم هذا الضياء
وكنا نخاف حنين القلوب
كأنَّ الحياة التي ألهمته
كأنَّ الغناء الهوى والشباب
فحيناً نكيفه باللحون
فكيف تبدد؟! يا للممات
ويجنى على الحسن حتَّى الحذر؟!
وكم طاف بالكون حتى عثر!
إليه، ونخشى وثوب النظر
أبت أن يشام بغير الصور
وقد مثلاً سرّه المدّخر
وحياناً نُكيفه بالشرر
يضيع الكنوز ويبقي الحُفر!

* * *

ملقنة الفن أحلامه
وشادية بأرقّ الحنان
وعاطرةً بأريج الغرام
وخاطرةً تشرئب القلوب
يفيض الدلال عليها الجمال
وينتظم الحسن ما يشتهيهِ
كأنَّ (الطبيعة) منها استمدت
وتمثاله الرائع المبتكر!
وعذب البيان لحسن نفر!
تمثّلها (الأرز) لَمَّا عطر!
إليها، ويصغي إليها الوتر!
أفانين يهفو إليها الزهر
خيال المنى ونعيم البشر
بهاء الفصول ونور البصر

فمنها نضارة شدو الربيع
ومنها شذوذ الخريف الشريد
ومنها جواهر ثلج الشتاء
فكيف برمت بها في الحبور؟
مفاتن لم يملكها جمالٌ
كأنَّ مواهبك الرائعات
كأنك أنت التي نشأتها
فكيف إذا حالفتها الحظوظ
ولم تبتدرها عوادي الزمان
فوا لهفة الفن مات العزاء!
ومنها حرارة صيف خطرٌ
ينوح ويضحك بين الشجر
ولهو الرياح ولحن المطر
وكيف يكون النعيم الضجر؟
سواك، فلماً احتواها اندثر
بإعجازها تتحدى القدر
ولم تتجاوز حدود الصغر
وفاض الغدير وعمّ الثمر
فيطوى الكتاب ويُنهى السفر
ويا لوعة الحبّ، مات القمر!

رثاء أحمد محرم

(وجّهه صاحب الديوان إلى عميد الشعر العربي خليل مطران بك.)

فمن أعزّي إذن في شاعر العرب؟
سوى (خليل) عميد الشعر والأدب؟
مكارم الخلق عن عاتٍ ومغتصب
على وشائج لم تُوهن ولم تغب
فأنت واصل ما قد بتّ من سبب
يا عارف الفضل من دانٍ ومغترب
في نشوة النصر فوق الجحفل اللجب
والمنقذ الحق في شعر من اللهب
كالشمس دانت وما دانت لمقترب
ومن يدين بها يُغنى عن الذهب
به ولا جسمه الواهي عن السبب
ولو تقاصر عن جاهٍ وعن نشب
محافل الأدب العالي من الطرب
في ثورة الحق لا في سورة الغضب
ما صاغ من عجب أو ردّ من صخب
حتى استعاد (أبوللو) عصره الذهبي
خوَالِد رنحت أعطاف مكتئب

لم يبقَ في النَّاسِ من خيرٍ ومن أدبٍ
ومن أرجى مثيلاً في مناقبه
حفظتما اللغة الفصحى كصونكما
وكنتما فرقدي فنّ وفلسفةٍ
إنّ قطع الموت أسباباً مؤصلةً
لك العزاء أمير الشعر، سيده
في الشاعر الفحل يستعلي الخميس به
المرسل الصيحة الكبرى مدويةً
جمُ الإباء تراه في تواضعه
من يستهين بها يلقي خصاصته
ضخم المروءة لم تقعد نحافته
في كلِّ يوم أياديهِ مرددة
وكل حينٍ له شعر تتيه به
فللحماسة آيات مغلبة
وللروائح في تاريخ نهضتنا
وللتغزل ما جادت أنامله
وللتفلسف في تحليل مهجته

يتلو بدائعہ الراون في جذل
كأنما كل بيتٍ جاء يورثهم
أمثل هذا يعفّي ذكره كسلًا
والشهب تسقط أشجانًا محرّقةً
إن جاز نسيان من لله نسبته
فأئي معنى لدنيانا وزخرفها
وينعمون بما أسدته للحقّب
كنزًا من الدر أو نخرًا من الحسب!
عن واجب، أو يُوفى جد مقتضب
من النجوم ويشجى بارق السحب؟
ومن يمد جمال الكون بالطُّنب
وللحقيقة إنْ عدت من الكذب؟

رثاء زوجتي

هذا فناؤك مؤذن بفنائني!
ومضيت للأبرار والشهداء
فبكيت فوق جبينك الوضاء
مني الدموع عليك كالأنداء
وبقية المكنوز من نعمائي
بسريرتي، وتلألأت بوفائي
وملاذ تفكيري ووحى نكائي
فبدوت بين سماحة وصفاء
أودعت فيه صبابتي ورجائي
غير السنين، وزال برح الداء
لما نسيت تجلدي ومضائي
وأرى الشفاء ولات حين شفاء
وأنا الخصيم لخدعة ورياء
لمّا بكيتك قد أضل بكائي
إلا على الأحباب والخُلصاء
مهما هزلت فلا يهد بنائي
وعن الحديث العذب بالإيماء
وحفيف ألفاظ همست رخائي

ماذا تُفيدك لوعتي وبكائي؟
أسديت عمرك للحياة فما وفّت
لهفي عليك وقد أتيت مودعًا
زاد الممات جماله وتناثرت
كانت حشاشتي المذابة حرقّة
فترنحت بفجيعتي، وتضوعت
وروت مُحياً كان جنة نعمتي
وطرحت آلام الحياة عزيزة
وأقبّل الوجه الحبيب، وطالما
شمل السلام هدوءه، وتبددت
وأكاد أنسى للممات خشوعه
كم كنت أعلق بالخيال توهماً
ويغالط القدر العتيّ تفاؤلي
أبى اعترافاً بالممات كأُنبي
أو أنّ هذا الموت حق ثابت
أو أنّ عيشي أنّ أراك بجانبني
أعتاض باللمحات عن أغنية
وأعد أنفاساً وهبت ذخيرتي

وأموه الألم الدفين وأتقي
وأكاد أقسو في مجانبه له
متنزهاً عن كل ما شان الورى
حتى صدمت، ولا كصدمة شاهق
فجنت من حزني وعفت حصافتي
علمًا به، وأصده بغبائي
أو ليس جسمك رمز كل نقاء؟
مترفًا عن علة وعفاء
متحطم بصخوره الصماء
ودفنت كل رجاحتي العمياء!

* * *

لهفي عليك زميلتي في رحلتي
لم أرض غيري أن يسير مشيعًا
وكتمت نعيك، كم أضن بذكره
لببيت رغبتك الزكية دائماً
وجعلت مأتمك الرهيب عواطفي
حتى تفجر بي الأنين ملاحماً
ما كنت أحسب أن يومك سابقي
كنا نهى للرحيل^١ متاعنا
ونهب بالدنيا لتشهد حظنا
ونرد عادية الأنام تسامحاً
متسابقين لنملاً الدنيا سنى
فإذا رحيلك للنوى، ووداعنا
غدرت بي الدنيا، كأنني لم أصغ
ووهبتها — كرمًا — عزيز مواهبي
اليوم أدرك أي عبء فادح
كم كنت أحلم بالهناء والرضى
وأود من قلبي بقاءك بعدما
وأعد عمرك وحده عمري وما
وشريكتي في الصفو والضراء
أو أن توزع حرقتي وعنائتي
وأحوطه بنهاي واستيحائي
ووعيتها نبلاً ولطف حياء
وبخلت بالتنويه والإفضاء
وجرى التنظيم بأدمعي ودمائي
أو أن أيام الحياة ورائي
ونسق الآمال غير بطاء
ونهبش للأيام والأنباء
مستغفرين لجاحد ومرائي
بالحب والإيثار والإيحاء
للحظ، والباقي الكليم نمائي
فيها الثناء، فما أفاد ثنائتي
فجنت علي شهامتي وعطائي
عني رفعت وما مدى أعبائي
لك في نهاية عمرك المتنائتي
أفنى وأحسب في هواك بقائتي
أرضى سواك من الحياة جزائتي

^١ الهجرة إلى أمريكا.

رثاء زوجتي

فتناثر الحلم الجميل وأقفرت
وبقيت وحدي لا عزاء أرومه
يا طالما ناجيتها في نشوتي
ما نعمتي فيها وأنت هي التي
دنياي من حلم ومن أضواء
والذكريات تزيد من برحائي
واليوم قد أصبحن من أعدائي
جعلت بصحبتها الأسى نعمائي؟

* * *

يا من فتنت بكل ما هو رائع
ورسمت لي دنيا منوعة الشذى
وبثت بي حب (الطبيعة) فاغدت
يا من غناؤك شدوها وحنينها
لما سكت تقاطرت عبراتها
ومضى الربيع مع الشتاء فلم أجد
تبكيك أخلص من وفث لروائها
ورأت بها الخير اللباب فما شكت
وتناولت ألق النجوم فأترعت
كم ألهمتني من عيونك صورة
وتبسم تتبسم الدنيا له
ورشاقة معسولة ملحونة
كم كنت أهتف بالنشيد ولم يكن
تجري اليراعة في يدي مزهوءة
مترنماً بالحب بين ولائم
وإخال في دعة المروج جناننا
أيام كنا والشببية والهوى
أيام كنا نستعيد ثراءنا
أيام كنا الحاكمين بأمرنا
أيام كنا زاهلين عن الردى
ونخوض موج البحر ملء دعاية
متحمسين كأنما خمر الصبا
وخلقت ألوان الجمال إزائي
قدسيّة الألمان والأصدا
أمي، أضعت عزاءها وعزائي
وصداه في قلبي الشجي غنائي
واستسلمت للوعة الخرساء
إلا مظاهر وحشة وخلاء
وتصوفت بمروجها الغناء
منها وناجتها أرق نجا
منه دنان الحب للشعراء
جمعت أحب عواطف ومرائي
ويغيب عن معنى وعن خيلاء
كقصيدة خلافة عصماء
إلا خطوط جمالك الوضاء
بتغزلي ويهزني إملائي
للزهر والأمواه والأضواء
وأشيم في ألق الغدير سمائي
حلفاء في أمن من الغرماء
قُبلاً، ونضحك من غنى وثناء
الساكنين منازل الجوزاء
نجري ونمرح في الربى الفيحاء
متعانقين على هدير الماء
خمر الألوهة من أعز سماء

ومطوعين المستحيل النائي
وتعثرت شكوك عند ندائي
قد عاد بعد مخاطر هوجاء
علوية جلّت عن الضوضاء
فقدني لغير فتاتي الهيفاء
للمبذعين ومن لها أهوائي
وحنانها العذب السخيّ دوائي
تفشي خواطرها لنقد الرائي
واستضحكت لمصاعب الأشياء
فأبت هواجسها أشدّ إباء
لتردني لطلاقتي ورضائي
فإذا الفداء يهون وهي فدائي
مهما شقيت فأستطيب شقائي
للنّاس حين مضوا بكل وفاء
حتّى الممات، شجاعة العظماء
قفر الحياة أنوء بالأنواء
ظمان، ليس سواك ريّ ظمائي
وأعاف كل ملاحه وسناء
وكأنّما صور الجمال بلائي
غرّدًا، فمات بهاؤها وبهائي
ومجال أشواق ونبع صفاء
فالآن أين تهافتي ونجائي؟
والنور حين أهيّم في الظلماء؟
وتسلسلاً يُغني عن الندماء؟
والعطف والغفران والإسداء؟
وكأنّما أشلاؤها أشلائي
متهالكًا أمشي على الرمضاء!

متلمسين بكل شيء لذة
وإذا غضبنا عاد حبك غافرًا
وفرحت بي فرح الحبيب بإلفه
عشنا السنين كأنّها أنشودة
متجددين، وإذ فقدتك لم يكن
من رامها أهل الفنون نموذجًا
من صوتها الحلو الشجي سلافتي
من لم تدع غير البشاشة وحدها
من أشربت حب الدعابة سمحة
من لم تر الدنيا سوى تغريدة
من لم تردد غير آمال الصبا
من عشت أفديها بكل جوارحي
من علمتني أن أقدّس واجبي
من لم تودع في السقام وفاءها
من لم تفارقها الشجاعة مرة
فمضت وخلتني وحيدًا عابّرًا
هيّمان، قربك وحده مستنقذي
أقتات بالحزن المبرح راضيًا
وأضعت فني بعد موتك في الأسي
من طالما ناجيتها متغزلًا
كانت لروحي منك أنس مدامة
ومثلت أنت بكل ما أحببته
أين ابتسامتك الشذية بالمُني
أين ابتداعك للحديث تفننًا
أين اغتباطك بالمروءة والندی
قبرت كما غاب النهار أشعةً
وتركت في دنيا القساوة والأذى

رثاء زوجتي

* * *

قالوا تصبر! إنَّ حولك رفقة ورثوا مكارم خلقها وسماتها
يا ليتهم عرفوا شمول عواطفِي
شيم شقيت بها، وما عَفَّ الوري
وبقيت أسخر من جراحي هازئًا
مستلهمًا من لم تدعني مرَّةً
فالآن بعد نهابها ومصابها
منها، وحسبك صفوة الأبناء
إرثًا تدلُّ به على الآباء!
ووفاء وجداني وصدق ولائي
فأثارهم شممي وفرط إِبائي
بفواجع الآلام والأرزاء
في الحادثات أضيِّق بالأحياء
لم يغنني شممي ولا استعلائي!

* * *

تمضي الحوادث والسنون وتنقضي
ويظل قلبي هيكلاً لك خالدًا
أمم على أمم صباح مساء
أبدًا يرتل لوعتي ورثائي!

١٩٤٦

وداع مصر

كتاب من أستاذي خليل مطران بك

القاهرة في ١٤ مارس ١٩٤٦

عزيزي نابغة العلم والادب الدكتور احمد زكي ابوسان
بعد التجات الالهية والاشواق الثابتة
تلفتت لك كتابه وقد سررت به كما سر بيله ما يجلي منك
غير اني سمنت حسنا سيديا للايض التي حرضت له اركان في
القاهرة وارجو ان يسري زيارة الاكاديمية قبل ١١ ابريل الكافي
لاعلى تسي رب هديتك قبل سفره بالسوية الى نيويورك وانتم
على انه انه يكون رجلكم الاكاديمية وان تكون ثمرات هذا اليهود
جديه منك خيرا وبركة لك ولبلدك التي تفتخر به وعجبك
والعيبين بكم وهم اكثر
من انتقام اشكك مشوقا وادعوا ان يبتغلك وينظ
ارودك في نية وامن مؤمنة آ الخلد
خليل مطران

أهديت إلى أستاذي خليل مطران بك - ١٤ إبريل سنة ١٩٤٦ م.

أودع (النيل) في توديع شاعره وقد أودع نفسي في مشاعره

بالحب إلا وقلبي في خواطره
كما أفارق كنزًا من جواهره
إلا وروحي رهينٌ عند شاعره
فيها، وأخرى تناءت عن سرائره
ولن ألوم عدولاً في دياجره
وصدق عهدي بماضيه وحاضره
وليس يعرف تبر من ظواهره!

وما أقبل طرسًا^١ جاء يغمرني
ولا أفارق أستاذًا تعهدني
ولا أباعد أوطانًا أقدسها
تبًا لدنيا تديم الحر مغتربًا
لام العدول، وما أقسى ملامته
حسبي رضاؤك عن خلقي وعن أدبي
لن يعرف المرء إلا من أرومته

* * *

ففي اسمه كلُّ ما يُغني كخاطرهِ
وإن تسلسل ألحانًا لأسره
حب كحبك، مشدوهُما كحائره
دون الوداع فسقمي غير ظاهره
فغربة المرء أنأى من معابره
أقسى على الحر من فقدان ناظره
مضمخ بزكي من مجامره
وحطم الشعب فيه عجل قاهره؟
تحالف الحظ في تجديد زاهره
أراك باعث شعب من مقابره!

(مطران)! يا من أناديه بلا صفة
هذا نشيدي بلا وزن وقافية
أزجيه آخر ما أزجي^٢ ويدفعني
إن حال سقمك في يوم شجيت به
هل عودة أم تناء لا حدود له
وغربة الفكر في دار يمجدها
وهل أراك بيوم مسعد نضر
تحررت فيه أذهان مكبلة
لعل بضعة أعوام سأرقبها
وعلني حينما ألقاك ثانية

* * *

حشاشتي كمثل من مآثره؟
من السموم تجلت عن شعائره
منازل الخلد في أسمى منابره
ولا يراود فؤادي من مزاهره

هل يعلم البحر من أفدي ومن خلقت
الملهم الجيل بعد الجيل ملحمه
والواهب العمر للفقنان ينزله
إن كان يعلم فليصمت على ظمئي

^١ كتاب خليل مطران بك إلى الشاعر، بتاريخ ٣٠ مارس سنة ١٩٤٦م.

^٢ آخرة قصائد الشاعر قبل مبارحته مصر.

وليتق الحب في روعي وفي مثلي
رقصن في السحر الموهوب أخيلة
من خلّد الموج آيات مجددة
أو لا، فما هو بالإغراء يجذبني
ولن أبدل من عزمي وإن شقيت
وكيف تشقى بدنيا غير صاغرة
إن طالبتني بجهد فوق محتملي
هذا شعوري والتوديع أرقبه
فما أبالي الغوالي من جزائره
والبحر يهدر تحناناً لساحره
وجدد البحر إعجازاً لزائره
إلى الضلال تهادى في عساكره
نفسى بمنفאי في أقسى مخاطره
لم تقبل الظلم في شتى مظاهره؟
بذلت عمري عزيزاً عن صفائره
كأنما أنا مولود بآخره!

* * *

يا (مصر) إن أنس لا أنس الهوى ثملاً
رضعت فيك حناني للجمال، كما
لألبنن وفيّاً لا يغيره
لئن أميت كفاحي في منابته
على ضفافك في شتى عناصره
ركعت فيك لساميه وطاهره
عادي الخطوب، أبيعاً في ضمائره
فسوف يحيا كفاحي في مهاجره!

استقبال أمريكا

٢٨ أبريل سنة ١٩٤٦

لقد دفن الردى ومضى الوعيد
ويومي الحر في نجواك عيدُ
إذا ما حورب الحرُّ الشريدُ
وألثم رايّةً لك لا تبيدُ
معالم حبُّها باقٍ أكيدُ
وفيك تحرر السود العبيد
ومجدك دائماً حالٍ وطيدُ
وعوقبنا، وصال المستفيدُ
كرامتنا، وبش لها الحسودُ
وفدّاها ابنها وهو الطريدُ
وللظلام قد زف القصيدُ
وللطاعوت يستبق السجود
يخص بشره البطل المجيدُ
يذمُّ، وكلُّ مذموم حميدُ
به الأحرار واعتز النشيدُ

أماناً أيها الوطن السعيد
فأمسي مأتّم لفراق أهلي
عرفتك ملجأ الأحرار دوماً
أقبل تريك المعبود برّاً
ولو أني المخلف في بلادي
ولو أنّ الرجال بها استرقوا
تضيق مجدها الأسمى رياءُ
أردنا أن نقومها فأبت
وضحينا لعزتها فأذت
وعاث بها الدخيل فبجّلته
يُحال العلم جهلاً في رباها
وللتهريج سلطان يرجى
وأيسر من وداعتها اتهامُ
إذا استشرى الفساد فكل خير
لجأت إليك يا وطنًا تغنى

من السماء

فإنَّكَ منبري الحرُّ المرجى وبيء نهائي، بل عمرٌ جديدٌ

١٩٤٦

هكذا حدث ... رثاء نسيب عريضه

(ألقي في حفلة تأبينه بنزول تاورز في بروكلن مساء ١٥ مايو سنة ١٩٤٦م.)

ولا لإحساس هذا العالم الفاني
فالعبقرية لم تُخلق لأوطان
على الحياة ولو من رسم فنان
ولم تفسر بإنجيل وقرآن
ولم تُقدر بمقياس وميزان
في نشوة، بين مشدوه وحيران
وتحمل النور ميراثًا لأزمان
إلى عوالم من حسن وإحسان
علوية، وجنائًا دون جنان
عن معجزات سمت عن خلق إنسان؟
إن فأت تعريفها روعي ووجداني!

ما كان عمرك موهوبًا لإنسان
ولا لأرض وأوطان حننت لها
والشاعرية لم تُقصر منازلها
بل كان عمرك آيات هتفت بها
ولم تكيف بأوصاف ننمقها
ولم تُخصص، فحتّى أنت كنت بها
ملء الزمان تناجينًا وتُسعدنا
وتبعث الوحي فينا وهو ينقلنا
تُشام بالروح أطيافًا وأخيلةً
أكنّ من صنعك الفتان أم نشأت
لعل في مقبل الأجيال عارفها

* * *

المبدعات لنا قدسيّ الحان
يُغني الوجود بها من قلبك الحاني
أن لا يميّز في مدح وشكران
كأن أخلاقه أخلاق ديان

يا شاعر الهمسات الساميات بنا
كأنّها صلوات لا حدود لها
جمّ التواضع، جمّ العلم يسعده
وليس يبخس إلا نفسه أدبًا

وليس يعرف غير الحب منقبةً
يحنو على الشعب في البلوى ويسعفه
ويرفض الضيم حتى لو أتى ملك
يا حامل العبء في إيقاظ أمته
ما بز أثارك الغراء مبتدعُ
ولا بنى فوق ما أعليته باني!

* * *

تركت (مصر) وقلبي نائب حرقاً
وكنت جانبت أطياف الربيع بها
ومذ وفدت رأيت الربيع مكتئباً
فلا الجمال قرير في مباهجه
كأنَّ (آذار) عاداه وباعده
ما للباشاة قد ماتت بنضرته
وللجداول قد غصبت بحسرتنا
وللنسيم قتيلاً بعد عاصفة
وللطيور التي كانت مغردة
وللنواطح لم يشمخن في نظري
شاهت جميعاً بعيني بعدما حرمت

* * *

جعلت قلبك قرباناً وتقدمه
وما رثائي من آثاره عممُ
أغنيت عن كل صيت من عوالمنا
وعشت فينا غريباً، فلتعد ألقاً
فأنت وحدك تدري الآن ما عجزت
وحسبنا ذكريات منك عاطرةُ
وخالدات من الإيمان ناصعة

* * *

هكذا حدث ... رثاء نسيب عريضة

من مات موت شهيد لم يمت أبداً
ومن تكن نفسه شعراً وفلسفة
ياأبى الإسار، وإنْ وَافَى مُجَامِلَة
وقد تبدل أبدان بأبدان
وبسمة من أغاريد وأوزان
من الشُّموس، وياأبى العالم الفاني!

١٩٤٦

ذكري المهرجان اللبناني الكبير

(في ترنتن نيو جرزي سنة ١٩٤٦م (مهدة إلى جمعية النهضة اللبنانية).)

أبناء (فينيقيا) عثتم لأجيال
ما عابكم أنكم دنيا لأنفسكم
تفجر الحزم منكم في مراحلكم
كلاكما جائش فاضت عواطفه
كأنما (الأرز) من قدسي منبته
وتنتحي أممًا شتى بواسقه
كأنما كل فرد بينكم بطل

* * *

يا مطرب المهرجان الحر قد طربت
مضت كوارث ناق الدهر لوعتها
فليسمع اليوم ما أعددت من نغم
لا حسن غير جمال الفن يسعفنا
من مثل قومك في إنشاد شاعرهم
في بسطة كانسياب النهر متئدًا
أنشد مديدًا ولا تسأم فمك هدى
ويا أماليد (قاديشا) وزينته
حيث العواطف ألوان منوعة

مسامع الدهر فارفع لحنك العالي
إذ جنت الأرض واستخذت لجهال
يشفي الكلوم ويحيي المنزل الخالي
بعد الدموع بأحلام وآمال
أو عزف مزمارهم أو وحي مؤال
أو وثبة كجريء فوق شلال
مثل الأذان لحجاج ونزال
للرقص والشو هذا المعرض الحالي
تجمعت في هوى (لبنانها) الغالي!

* * *

ما أجمل الحب في دنيا تألفه
حيث (الطبيعة) لم تبخل بزينتها
مدت مواثدها الفيحاء فاخرة
من الفواتن من أنطقن في مرح
من الفوارس من زانت مفارقهم
من أمّة صحف التاريخ عاطرة
حار الرواة بما أسدت وما صنعت
ولم تزل سيرة للمجد صادحة
أليس من بدع الإقدام ما مثلت
قد أرضخوا القدر العاتي لهمتهم
وأطلعوا بيننا (لبنان) في وطن
بيننا شعوب تعاني وهي صاغرة
من مبلغ أمتي سر الحياة بكم

حيث الجمال بأضواء وأضلال
وحيث كل جلال دونها بال
وجمعت بين ظبيات وأشبال
صخور (لبنان) ألحاناً بسلسال
غرُّ الأكاليل، أو ركاب أهوال
بذكرها، وعزيز مجدها الحالي
مدى القرون، وحر الباحث التالي
ومضرباً لأعاجيب وأمثال
في (المهرجان) بآيات وأعمال؟
ولم يُبالوا بألغام وأوجال
ما كان للمقدم السامي بخذال
في الشرق موتين من ذلٍّ وإمحال
فقد أضيعت بها في القيل والقال؟!

* * *

يا وارثي من أضاءوا في مهارتهم
لعلّ أعظم إرث في تضامنكم
لكم تبعثر أجيال بزلزلة
طوبى لكم، وليكن هذا التراث غنى

وفي جسارتهم نهجاً لأجيال
وفي تعاونكم في غير إدلال
ولا يفرقكم عاد بزلزال
فوق الغنى، لم يقوّم بعد بالمال!

ثقتي بمآل الإنسانية: دستور لوحة العالم

(ترجمت هذه القصيدة إلى العربية تلبية لإدارة التعليم في نيو هيفن بولاية كنيكت للعرض في أسبوع هيئة الأمم المتحدة سنة ١٩٤٧م وللحفظ في متحف إدارة التعليم هذه.)

إنِّي الأمين على السنين، الحاني
ورهبين أحلام سمت بفتوحه
تلك الندوب على الجراح شهيدة
وعجيب لغز للحياة مقدس
عقلي تمثل في قياس نجومه
وعلى حياتي اليوم يتبع في غد
ومقالهم صدقًا: «حملت موفقًا
وإذا نما الإنسان في تأميله
وازداد في معنى التفهم روحه
ولسوف تغدو السرمدية للورى
وأنا الوصي على مدى الإنسان
بيننا هزائمه على جسماني
وكذاك روعة بأسه الفتان
لغز الألوهة والسنى الروحاني
ونهاى في استيعاب غير الفاني
حكم الذين تتبعوا إيماني
إرث البرية عزَّ في الأثمان»
بنهاي، أو بحجاي، أو بجناني
حرًا فسوف يعيش في الأزمان
أقصى وأفسح من خلود دان

عيد النيروز

١١ سبتمبر سنة ١٩٤٧م

شوقي إلى الوطن البعيد مزارا
لا تستحيل بشاشة ونضارا
تُعلي العبيد وتُسقط الأحرارا
أبدًا إليه، وإن نأى وتواری
أن لا أغص وأن أموت مرارا
وتخذت منه مثابة وشعارًا
للناس، إن بطش الزمان وجارا؟
فيه، وألبست الجمال وقارا
و(النيل) كان يزفها أدهارا
أمم وأسعد حوله الأحجارا
وبدا (أمون) المنعم الجبارا
لا تعرف الأحقاد والأوزارا
فرحًا ونعبد ماءه المشتارا
نعم الوجود، وأشربت أسرارا
بزت، ودان لها الزمان جهارا
نبذ الصغير، وما نزال حيارى؟

قُبِلْ كأنفاس (الربيع) أبتها
وأراه في حُضن (الخریف) بنضرة
وأخصه بهوای رغم نكایة
وكانَ منفاي السحیق مقربي
وأغص بالذكري وليس بنافعي
اخرت هذا العيد يوم تبئُل
أولیس رمزًا للحياة وموئلاً
عيد تلالأت (الطبیعة) بالمنی
هبة من الأرباب كنا أهلها
غنت لنفحته المدائن وانتشت
وازينت طربًا معابد (طیبة)
في عیده القدسي كنا أمة
كنا نُضحّي بالجواهر والحلي
وتشربت إكسیره أرواحنا
حتى تبوانا مكانة دولة
ما بالنا بتنا أصاغر عالم

أَلْأَنَّا فَتَنَّا شَعَائِرَ وَحِدَةٍ
أَلْأَنَّ أَصْدَاءَ الْمَعَابِدِ لَمْ تَنْلِ
(أَنْسُ الْوُجُودِ) قَضَى شَهِيدَ وَفَائِهِ
وَهِيَ أَكْلُ شَتَى أَطَاحَ بِهَا الْأَسَى
هَبُوا بَنِي وَطَنِي لِأَنْبَلِ غَايَةِ
وَذَرُوا الدَّخِيلَ فَكَمْ يَبِثُ سَمُومِهِ
شَغَلَتْ مَحَافِلَكُمْ بِكُلِّ قَضِيَّةٍ
وَتَهَاوَنَ الزُّعَمَاءُ فِي مِيرَاثِكُمْ
هَبُوا وَصُونُوا وَحِي مَاضٍ مَاجِدٍ
(النَّيْلِ) بَارِكْكُمْ فَرُشُوا دُورَكُمْ
وَتَعَانَقُوا بِمَنَى الْإِخَاءِ، وَهَلَّلُوا

فَتَبَدَّدَتْ عِزْمَاتِنَا اسْتَهْتَارًا؟
أَذْنًا، فَمَاتَ زَمَانُهَا وَإِنْهَارًا!
غَرَقْنَا وَكَانَ الضَّاحِكُ الثَّرَثَارَا
قَبْلَ الْبَلَى، فَتَحَوَّلَتْ آثَارَا
وَدَعَا الصِّغَارَ وَجَانَبُوا الْأَوْغَارَا
لِيُنَالَ مَنْ تَدْوِيخُكُمْ أَوْطَارَا
إِلَّا قَضِيَّتْكُمْ دَجَى وَنَهَارَا
وَتَنَافَسُوا فِيمَا يَثُولُ^١ دِمَارَا
وَكَفَى التَّطَاحُنَ وَإِنْبِذُوا الْأَعْرَارَا
فِي عَيْدِهِ بِمِيَاهِهِ إِكْبَارَا
لِجَلَالِ (مِصْرَ)، وَمَجْدُوهِ مَنَارَا!

١٩٤٧

^١ يثول: يدبر.

في أتلتيك ستي

حياتي، ولم أستبق غير خيالي؟
وكان نديمي لا نديم رمال
من البشر أضعافاً بغير سؤالي
تلاشت على تعذيبه المتوالي؟
وأنى له بالحب بعد زوال؟
فليس محالاً فيه أي محال؟
كما لمس المخمور وهم ليال
فليس بسال كل من هو سال
كما يكمن الإشعاع طي جبال
أعب من النور الشهي خيالي
تعالت ولم تبخل برغم تعال
على الليل، حتى الليل أزهر حال
على جمع ألواح نَعْمَنَ غوال
تملك فيه الحسن كل مجال؟
ولا تعرف الأشواق أي ملال
وليس سواه بالوجود يُبالي
كما اشتاق (نوح) في زمان ضلال
وكل الذي تخشاه حلو دلال

لمن يهدر البحر الحبيب وقد مضت
وقد كان أيام الشباب معللي
وأنفقت أيامي عليها فردها
أيدعو إلى الذكرى عواطف شاعر
ولو بعثت، أنى له بشبابه؟
أهذا هدير السحر في شاطئ الهوى
تسمّعه نشوان ألمس غابري
وما كان بالإعجاز أو سكرة المنى
وقد يكمن الفنان في قلب راهب
فألفيت نفسي في الشباب مجدداً
وأشربه ألوان أنس وبهجة
وهذي عروس الماء لم تدخر حلى
أعدت لدى البحر الطروب طريقنا
(سفينة نوح) تلك أم حلم شاعر
وتغتبط الآلاف فيها حبيسة
تروح وتغدو، لا ترى الوقت عابراً
وما تشتهي أرضاً تلوذ ببيسها
فكل الذي تعطاه صفو مُبراً

من السماء

تَدْفُقُ فِيهَا النُّورَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ إِلَى أَنْ تَرَأَى بَعْضَهُ كِظْلَالٍ
وَعَشَّشَ فِيهَا الْحَبُّ حَتَّى كَأَنَّما تَغْذَى وَغَدَّانَا بِكُلِّ جَمالٍ!

١٩٤٧

رثاء عبد المنعم رياض بك

(ألقيت في حفلة تأبينه بنيويورك سنة ١٩٤٧م.)

وإن تعثر في حزني وآلامي
شروذ قلبي وأحلامي وأيامي
من القيود، ولكن مرهق دام
إلى مواطن إنلال وإرغام
كما تُصان توابيت بأختام
فخاب سعبي ولم ينقذك إيلامي
وعالم بخطايا الناس دوام
بخاطر كرقيق الزهر بسام
وما استحقوا، وما كانوا لإنعام؟
شأن الكريم، فما اعتزوا بإكرام
من معشر بين خفض النفس والهَام؟
واليوم شقَّ عليهم بعض إمام
وإن تبلور في شعري وأنغامي
لا يشتكي في وفاء قلبي الظامي
وصاح بين تباريحي وأسقامي
من الكلال ولم يعمر بأيام
إلا مثالك في نبل وإقدام

صوت من الغرب ناجى روحك السامي
جاز المحيط على الأمواج شاردة
أوفى جريحاً كجرحي الحرب منطلقاً
من موطن كنت أحرى من يعز به
صينت عن الفكر والتفكير صاغرة
لكم سعيت لكي أبقىك موئنا
وفتَّنا بخضمٍ زاخِرٍ لَجِبٍ
وكنت تمزح في خوفي وفي لهفي
أين الألى طالما أشبعتهم نعماً
رفعت أروُسهم في غير منزلة
أين الوفاء، وما أرجوه في زمني
كم حاصروك لأهواء ومنفعة
إن تُنس لم تُنس في قلب يذوب أسي
يشكو من الغيث من يشكو وفي حرقي
أنَّ الربيع أنيني في عواصفه
وشاب أهواءه ما شاب خاطرتي
كأنما كل شيء حال في نظري

إلا نزاهتك القصوى لدى زمن
إلا وداعتك المثلى يدين لها
إلا وفاؤك للعانيين تسعفهم
تولي الجميل وما تدريه مغتبطاً

* * *

هل يعلم (النيل) أيُّ النَّاسِ غَيْبَهُ
وأيُّ علم وأخلاق وتجربة
وأي فضل وإيثار وتضحية
قسط النبوغ وجود النابغون به
عاشوا اغتراباً بدنياهم وما سلموا
وكل فرد شقيِّ بينهم بطل
أو لا، فبالترك يضنيهم ويقهرهم
ماذا انتفاعك بالذكرى، وما انتفعت

* * *

من مُرجعي لزمان كنت بهجته
جم السماحة، لا ينجاب عارفه
المدرهُ الفدُّ لا تدمى مطاعنه
والفاتح العضب لا تنسى معاركة
يصغي إليه الذي يعنو لحجته
لم ينس أمراً إذا ما صال مقتحماً
إلا مكانته العظمى، فما هبطت
كان المثال المرجى في رجاحته

* * *

لم يندَّس بها مفجوع أعلام
ولا بكتته، وما بالت بأوهامي
ريعت، ولا شاه غرس حولها نام
ولا المحافل أحيائها وأبهجها

رثاء عبد المنعم رياض بك

في كل مرأى جمال كنت أعبده
لئن صدفت بحزني عن مفاتنها
كأنما لم تنزل فيها بشاشته
ولم يزل وحي صدّاح ورّسام
فما تبالي بلوعاتي وإحجامي
وعذب أقواله في رجح أنغام

١٩٤٧

قطرات الندى

من وحي الخريف

من الجمال على عشب وأوراق
بها، فما كشفت يوماً لأحداق
تبسم السحر في ألحاظ عشاق
وللحشائش قد رفت بأشواقي
وما يُبالي الندى همي وإخفاقي؟!
ذابت نضاراً حيال اللؤلؤ الباقي
كأنما غيرتها فتنة الراقي!

وافى الخريف فوافت للندى صور
كأنما أودع العشاق أنفسهم
تلاًلاً الحب فيها وهي باسمة
ما للعناكب قد فازت بحليتها
ولم أزل في ظمائي غير مدّكر
إن داعبتها خيوط الشمس راقصة
ولم يعد من مرائيها سوى حلم

* * *

سراً أبيع لوجد الشاعر الشاكي
كلُّ (الطبيعة) هذا الصامت الحاكي
فقبلها ذرفت في خاطري الباكي
يشجى الوجود لها أضعاف إدراكي
على حروب، وحيناً همس نساك
وفي تبتلها تودي بإشراكي
فيما أرى بين أنداء وأفلاك

غاب الندى ونسيم الصباح يُعلنه
تدري العناكب ما يروي كما فهمت
فإن بكت بدموع للندى ذرفت
كم للنسيم رسالات منوعة
كأنما هي ألغازٌ ووسوسة
تعنو الغصون صلاة في تجاوبها
فما أرى غير دنيا الحب ماثلة

بماذا سيموت؟

(إنَّ الطبيب يبذل غاية جهده، فلماذا نرتقب أكثر من هذا؟) (الاتشنج أو الرسم الحفري المعدني للفنان الإسباني جويبا).

وأغثت من أهليك في الجهلاء
من رحمة الجهلاء والبلهلاء
أفتى بما أفتى من الأرزاء؟
وتموت بين سوائم ووباء؟
صنوا، وقد بتنا من الشهداء
أحلامها أحلام كل مرائي
للنزع حين أبوا عليّ فدائي
حولي وكل مشاعر الأحياء
وتثير لوعة مهجتي ووفائي؟
ومحرماً أن تستجيب ندائي؟
أرعاك بين تحسري ورجائي
وخنوعهم وعقوقهم وبلائي
قبل الفوات، فلا يردُّ دعائي
وتصيخ للحكماء والعلماء
تدعو الرثاء لنا من الأعداء

وطني الحبيب وقيت شر الداء
الموت أبعد عنك حين وباء
ماذا جنيت ليحكم القدر الذي
أيرد عنك الألمعي وطبه
أحنو عليك وإن نفيت، ولم أزل
ضافت بنا الدنيا العريضة واغتدت
وقد انتهيت إلى فراشك ساكنًا
هل نافعني كل الذي أغنى به
وأنا أراك تئن في أسر الردى
وأنا الغريب موطنًا ومغربًا
سأعيش في بعدي رهينك دائمًا
وأهيب بالأبناء رغم عزوفهم
فلعله يومًا يثير شجونهم
فتعود للأحياء غير مكبل
أقسى من الموت المدمر حالة

من السماء

والعصر عصر العلم، من لم يستيق لحماه ضاع ومات دون رثاء!

١٩٤٧



بماذا سيموت؟

الاحتمال

تجرعت آلام البرية مثلما
علام اعتناقي للتفاؤل حينما
وفيم ولوعي بالوداد أصونه
وإن لم تضرِّج بالصغائر مرة
وما استمرأت نفسي الخصومة مرة
ولكنها تلقى العذاب مخلصًا
وتشقى وما ترضى التقهقر موثلاً
ترى ألم الأحرار سر وجودهم
طغى كل يوم مآثم بعد مآثم
وما ندمت يوماً على ما أصابها
إذا عرف الأحرار حمل بلائهم
ومهما شكوا كانت شكاة قلوبهم
وقد آمنوا بالحق ينصر آخرًا
وما زلت تغزوني المآسي كأننا
بلا كلفة تحيا على برِّ مهجتي

تجرعت آلام البرية مثلما
علام اعتناقي للتفاؤل حينما
وفيم ولوعي بالوداد أصونه
وإن لم تضرِّج بالصغائر مرة
وما استمرأت نفسي الخصومة مرة
ولكنها تلقى العذاب مخلصًا
وتشقى وما ترضى التقهقر موثلاً
ترى ألم الأحرار سر وجودهم
طغى كل يوم مآثم بعد مآثم
وما ندمت يوماً على ما أصابها
إذا عرف الأحرار حمل بلائهم
ومهما شكوا كانت شكاة قلوبهم
وقد آمنوا بالحق ينصر آخرًا
وما زلت تغزوني المآسي كأننا
بلا كلفة تحيا على برِّ مهجتي

فني وحياتي

فاصفحي، أو فاغمري باللعنات!
بل محبباً ريع من عاتٍ وعات
غصصاً عدتَّ أجل الحسنات!
وأباح (الملك) إرهاق البناءة^٢
تحت أقدام المذلين الطغاة
للسُّداة^٣ المستهينين الجناة
أو خيالاً لمعاذير الحماة^٤
ساخرًا سخر المجانين الدهاة
في حياتي غير لمح من حياتي
أو ولوع الناس أو مدح الشداة
في عذاب بين أفراح القضاة
منك، إذا ألهمت منك صلواتي
هي بعض من سنا (مصر) الفتاة

أمّتي! ما زلت فنيّ وحياتي
لم أقرّع، يائسًا أو كارهاً^١
مشفقًا إذ جرّع الناس الأذى
قد أباح (الفن) أمسا مرهقًا
حينما (اليوم) كئيب عاثر
ليس هذا الظلم إلا غمرة
ما حوى فيما حوى تبرئة
بل حوى العسف على ألوانه
أمّتي! ما كان شعر صغته
ما عناني منه قلبي مرة
مثل آلاف قلوب أحرقت
كل حسن شاقني في غربتي
كل آياتي التي أبدعتها

^١ منصوب على الحالية: أي لم أعنف وأنا يائس أو كاره بل وأنا محب نذر من ظلم الطغاة.

^٢ إشارة إلى تقاليد مصر القديمة.

^٣ السداة: جمع وضعي للسادي — أي الملتذ بالتعذيب لمجرد التعذيب.

^٤ المدافعون عن جبروت القرون السالفة.

من السماء

أو دعائي شاملاً في حبه
لا أبالي النفي أن يسر لي
وشقائي، لو غدا تضحية
وليهنأ من عداتي كل من
عالم الناس المساكين العفاة
بعض تبديد لهذي الظلمات
ما شقائي من عديد التضحيات؟
خانني، ولينعموا يوم مماتي!

١٩٤٧

قلب والد

(أهديت إلى ابنتي صفيّة.)

لا أرى للحياة كنهًا ومعنى
وسعيد من عاش يعتنق الحب
وأراني السعيد مهما تناهت
أعرف الحب كيف عشت ملاذي
وتناهيت يا (صفيّة) في البر
أي ذكرى أخطها لك إلا
منذ ما كنت طفلة وأنا أشـ
إنَّ قلب الأب المحب لدنيا
أن تخلت عن الهوى أو تجنّى
ومن حاز ملكه مطمئننا
نوب للزمان غدًا ومينا
وسلامي، وأملك الحب كونا
بقلبي فلم يعد بالمُعنّى
دعوات بها فؤادي تغنّى
دوا بما أرتجي وترجين منا
لم تكيف ولم تحدد بمعنى!

القلب الباكي

(وحي باقة من الورد في عيد ميلاد الشاعر).

وما أعاني بأشواقِي وأشواكي؟
عطر من الورد حاكي روحه الشاكي؟
إلا أساي، وإن يجهش فإدراكي
ما هيأ الناس، منهوگا كإنهاكي
عواطف الحب عانت غدر سفاك
على وداع بقايا حبي الذاكي
كما اغتربت، فماتت موت نُسَّاك

هل يعلم الناس نجوى قلبي الباكي
ما نعمة الورد للمحزون ألمه
إذا تبسم لم يظهر ببسمته
يلقى الشتاء لقائي، لا يدفئه
كأنَّ باقته تُهدي إلى أملي
كأنما عيد ميلادي يعانقها
هنَّ اغتربن الضحايا لا ذنوب لها

* * *

أزكى الجنان، ولا عوقبت لولاك
به المقادير في قربي لأهواك
للغادرين، فعاثوا في حناياك
أنا الغريب، فعيدي يوم ألقاك
لا أن أعود لأغلال وأشراك
على فؤادي من ضيم بدنياك
ذل الجباه لمأفون وأفاك
وضاحك كلُّ ما في قلبه باك

يا (مصر) لولاك ما فارقت في حريقي
أهواك في غربتي أضعاف ما سمحت
أبت عليَّ كفاحي عندما أذنت
ما العيد عندي عيد في مباحجه
على سلام وفي حرية شملت
الثلج حولي أحنى في تحرره
والنفي أسعد أيامي إذا فرضوا
يا رب مقترب في حكم مغترب

ربيع الحر

وثب فرحاً مع الحمل الوديع
سناك أو صلاتك عن سميع
أريق شفاعة الحب الصريع
ووسوسة البراعم في خشوع
بأمواج الضياء على الزروع
نجوماً في السماء وفي الربوع
يرفُّ بلهفة الطفل الرضيع
بعطر الحسن في نسق بديع
وإن خفيت عن الحس الوضع
تفرّد بالأصالة والنزوع
حبته كنوزهنّ على الشيع
خفوق الشعر في الروح الرفيع
وقد ران الجمال على الجميع
بثوب العرس تخطر في الجموع؟
أغثن الروح من ظمأ وجوع
وأطلعن الشموس من الشموع؟

ربيع الحرّ أشرق يا ربيعي
ولا تحجب حياء كالعداري
لقد نم الأريج عليك لمّا
ونمّ عليك همس من غصون
وسقسقة الغرام تذوب لحناً
وأمال السلام وقد تراءت
وتحنان الجماد لكل حيّ
وأنداء الصباح مضمّحات
وآلاف الروائع سافرات
يفيض الجوُّ سحرًا عبقرياً
كأنّ جميع آلهة المعاني
كأنّ الكون يخفق في حبور
تقدّس كلُّ شيء في عيوني
فكيف إذا سفرت لنا فتياً
وكيف إذا الأناشيد الغوالي
ولقن العباداة كل قلبٍ

* * *

وثب فرحاً مع الحمل الوديع

ربيع الحرّ أشرق يا ربيعي

من السماء

كلانا كان في عنت وضيق
وكنت معذبًا شاهت نُهَاهُ
يُعاني الأسر في سجن منيع
وكنت ضحية القدر الفظيع
فعدنا اليوم يجمعنا إخاءُ
وأرض لم تسخر للرقيع!

١٩٤٨

تحية وفاء

في عيد (الهدى) الخمسيني

«الشتاء! الشتاء» صاح بي الجارُ كأنِّي في حاجة للنداء!
وتنير النجوم حولي وقد بزَّ خيالي وهزَّ شتى المرائي
والضياء الأصيلُ ران على الدنيا سناءً مجسِّدًا لا يرائي
فاتحًا كلَّ معقلٍ حجبتَه عن عيون الورى بروح السماء
لاهيًا ساخرًا، وقد خضخض الدنيا فزالت معالم الأشياء
وغزا الوقت فأمحى كلُّ حدٍّ لنهارٍ معرِّفٍ أو مساء
وإذا بي مشردًا وكأني ما شهدتُ العمرانَ يومًا إزائي
وأخوض الثلوج شبه غريقٍ كبَّلته فوادحُ الأعباء
شاكراً حظِّي العظيم، وقد شلَّت جموعُ، وشلَّ نفس الهواء
ذاكرًا في حرارة الود عيدًا يمحي عنده صقيع الشتاء
شغل القلب ذكره فتناسى ما عداه، مستغرقًا في الغناء
أيُّ عيدٍ هذا سوى عيد إقدامٍ وفكرٍ وهمةٍ واعتلاء؟
هو عيد (الهدى) الأغرُّ الموائفِ بمعاني الوفاء للأوفياء
ليس بدعًا وقد نعمت بها وقتًا حنيني الملحُّ أو خيلائي
هرعوا يحفلون بالعيد أفواجًا وزفوا له تحايا الولاء
وتباروا في كل رمزٍ جميلٍ لم يدنس من ريبة أو رياء

من السماء

شرفٌ للجميع ما هيئاً (اليوبيل) من عزةٍ لهم أو رجاء
ليس عمرُ الخمسين عمرًا لأجيال، ولكن لنهضة زهراء
لم تزل في شبابها مبعث الوحي منيعًا على البلى والفناء
عززت حرمة اليراعة والرأي ومجد الصحافة الشماء
وتسامت منارةً لا تسامي، فقليل لها جزيل الوفاء

١٩٤٨

الألوهة والكون

والغريبُ القصي فيه قريب
فَق من قبلُ واحتواه الأديب
تحتوي العالم العظيم السَّاني
وكياني هذا الوجود الرحيب
ومعانيه أجملتها السماء
أو شروقٌ لوحيه أو غروب
ولو أنَّ الخلود طبعٌ مؤصَّل
بينما الأصل واحدٌ والضروب
قد تجلَّى به الإله القديرُ
غاية للوجود لا تستريبُ
هو كونٌ أرواحه الأبدانُ
وتناهى إليه شعرٌ حبيبُ
فأنا ملهمٌ جناني وحسي
من سناه استجابة لا تخيب

كلُّ شيء في الكون سحر عجيب
يجهد العلم باحثًا بينما وفُ
هكذا كلُّ ذرَّة من كياني
أنا فانٍ وفي المدي غيرُ فانٍ
والإله العظيم هذا الضياءُ
لا ابتداء له وليس انتهاء
كلُّ شيء من حولنا يتحولُ
سوف نحيا على ضروبٍ تشكَّل
لِبَنَات الوجود موج يدور
والجمال الذي به نستنيرُ
هو فن ثوى به الفنان
هو معنى ما فاته الإمعان
ما ابتهالي إلا ابتهال لنفسي
وحناني إلى الإله وقبسي

حسني الزعيم

ويموت من أحيا العظام فيكا؟!
والبائعون المشترون بنوكا!
وتعاف عدّ طغاتها أهليكا
صيّدًا لكل مغامر مملوكًا؟
حفروا الخنادق معقلًا مهتوكًا
نلّا، فصاروا الخامل الصعلوكا!
لرجائنا، فأطاحه منهوكا؟
بالضيم يتبع سوقةً وملوكا؟
فوضى ذرته الواهن المفلوكا
أو لا، فأين قصاص من نهبوكا؟
تلك الجباه تحكّمًا ورثوكا!

(بردى) أيلقى النطع خير بنيكا
لهفي على شعب يُباع ويشترى
تشجى العصور من المآسي حولهم
ماذا دهى الشعب العزيز وقد غدا
يأبى النهوض كأنما أجداده
وتجنبوا رفع الصروح، وأثروا
ماذا دهاه وكان موئل عزّة
من شجّع الإجرام غير رضائه
ساموه خسفًا لا يحدّ، ودعموا
يا شعب! إن رمت المذلة فاغتبط
ليس العدو ألدّ ممن عقرّوا

* * *

في المصلحين له، دمًا مسفوكا
تعب الخصيم وما أثار شكوكا
نعم الخيانة للعظيم سلوكا
للمتقين نكايّة وحلوكا
وجلالك المزري بمن ورثوكا
صلبوا (المسيح) ومجدوا المأفوكا

(حسني الزعيم)! كتبت ذكرك خالدًا
يا من ترفّع عن صغار خصومه
إنّ عدّ مثلك خائنًا لبلاده
يا حافظ الحرمات، هذي غايّة
شتان بين هوان ما أورثته
النّاس هم تلك الذئاب وخيرهم

من السماء

وقضوا على البطل الهمام بإفكهم
مذ عدَّ للبطل الهمام شريكاً!
إنَّ يهنأ اليوم الذئاب، ففي غدٍ
سيروعون من العقاب وشيكاً!

* * *

مهلاً زعيم المصلحين فربما
ليرى الأواخر ما صنعت ويهتدوا
ماذا يريد الغادرون — وما دروا
أنقذتهم، فإذا بهم في دأبهم
وسبقت عصرك والنبوغ جناية
أوسعت صدرك للعداة وهكذا
فارقدا! لعلَّ تُرى بلادٍ صنعتها
ناب الممات فراح يستهديك
وليتمموا بوفاء من يفديكا
إلا الخيانة — بالنداء ركيكا؟
مثل العقارب تبغض التحريكاً!
وأبيت شعبك تائهاً منهوگاً
أوسعت صدرك للرصاص ضحوگاً
تحنو عليك حنوً من عرفوكا!

١٩٤٩

غضبة الأحرار

إلى الصديق سلوم مكرزل صاحب (الهدى) في عيد ميلاده:

ولم يبقَ غير الثَّارِ للنَّاسِ مفرغُ
عن الريح تستبكي كما تتوجعُ
عن الذل حين الحر للبغي يركع
وفيه الأبى الشهم عانٍ مضيعُ
وأصبح رب الحق يرجو ويضرعُ
بأكثر ممن للأداة تطوعوا
وبالشرف المحيي لها ليس تقنعُ
فلا الجيش يجديها ولا المال ينفعُ
تجافت وجافتها المكارم أجمعُ
فمن يدها يسقى الردى ويجرعُ
تزعزعها، لو أنَّها لا تززع
وتترك جلاذًا لها يتمتعُ؟!
فلا الوهم يغنيها ولا الزهو يرفع
مضللها أضعاف ما يتصنع!

إذن لم يعد في القوس للصبر منزعُ
لخير لهم أن يشبهوا الريح ثورة
لخير لهم أن يلثموا النطع والردى
حيينا إلى عهد به الجبن دولةُ
وأصبح فيه اللص ينهب جهرة
ولم يسعف الظلام من جبروتهم
فواعجبًا تسعى الضحايا لحتفها
ووا أسفًا للجهل يغلب أمةُ
ووا ضيعة الآمال في عهد شيعة
كأنَّ لها حظًا بتدويخ شعبيها
وفي كل يوم نكبة بعد نكبة
فما هذه الأقدار تسحق أمة
إذا الأمم استخذت ودانت لغيرها
تفوَّت غنمًا بعد غنم، ويدعي

* * *

وسامًا، وقد هان الوسام المرصعُ

هنيئًا أبا الأحرار بالقدح نلته

من السماء

ستذكرك الأجيال خادماً مبدأً ودينٍ له الأجيال تعنو وتخشعُ!

١٩٤٩

الشاعر السامي

رثاء خليل مطران

إلى عوالم لم تحصر بأجرام
كأن أضواءها أصداء أنغام
ولم تحدد بأنفاس وأجسام
فاضت على الشمس والدنيا بأقسام
والشاعرية في وحي وإلهام
ونحن في وهدة هانت وإظلام
ونحن ما بين إسراج وإجام
جمّ الفصاحة إن يوصف بإبهام!

إلهة الشعرا! عاد الشاعر السامي
إلى عوالم غناها وأسكرها
إلى نُهى لم تُكَيّف في منازلها
إلى منابع للإلهام صافية
والأنبياء إلى عليائها انتسبوا
إلى منارك، فاستعلت كواكبه
تدور لا مُلجّم يملئ مساربها
وتبعث الشعر في خفق أشعتها

* * *

إلى عوالم لم تحصر بأجرام
ذاك الجبين، ولم يظفر بإغنام
ويعثر الزهر من باك ومن دام
تدري مداها، ولا أرباب أحلام
ألم يرزأ بفقد الكوكب (الرامي)؟
وهو الجريح بأحزاني وآلامي

إلهة الشعرا! عاد الشاعر السامي
لم ينزع الموت إكليلاً خصصت به
وإن يكن قد أثار الهول في مهج
أسري به في بروج لا كواكبنا
وخلف الفن مكبوتاً على وجل
طار النعي وبئس الطير روعنا

مبدداً نخر آمالي وأحلامي
أليس حرقتنا أنفاس أيتام؟
الفاتحون لدولتٍ وأفهام
والفكر ليس له كالفكر من حام
فكلُّ جرح جديد غير ملتام
تدوولت بين إحياء وإعدام!

ألقي علينا الأسي ثكلاً ومسغبة
زاد الهجير لهيباً فرط حرقتنا
كأنما لم يمت قبلاً بعلمته
كأنما عيشه حام لفكرتهم
ما أفدح الخطب للعانين ما نعموا
وما أشق المآسي للشعوب متى

* * *

أم لا يزالون في نومٍ وأوهام؟
كالأرز من نوح أعلامٍ وأعلام؟
عالٍ من المدح أو دان من الهام
بالفن والرأي أعواماً بأعوام
ولا تذبذب في نقض وإبرام
ولا تعثر في تحطيم أصنام
وشعره برء فأفاء وتمتام
في عالم زاخر باللؤم لوام
أنفاس (طيبة) أو أَلحاظ آرام
عرائس المجد في (لبنان) و(الشام)
أعراس (كسرى) ولا أفراح (بهرام)
وأنت في (بعلبك) العابد السامي؟
إلا النبوغ، فما هانت لأقوام
وتستقلُّ به، لا نظم نظام
مثل (المسيح) أتى من بعد إظلام
ليست مطية أحباب وأخصام
وينثنون وكلُّ جدُّ مبسام
بل في تواضعه آيات إعظام
دون ادعاء لأحزاب وإحزام
ولن يُقاس بأبعاد وأرقام!

هل يعلم النَّاسُ أيُّ الناس قد فقدوا
وهل بكت (بردى) و(النيل) واضطربا
أصالةً من جلال ليس يرفعه
من ساير النهضة الكبرى وهذبها
وما تردد في تكييف مبدئه
ولا تلعثم يوماً في رسالته
كأنما رشده الصمصام في فرقٍ
أجزت شجاعته الأحرار عن خدع
وفاض شؤبوه رياءً لمن عشقوا
وأشرفت بعلبك من خرائبها
ألبيستها حللاً ما نال مشرقها
ما (البحثري) من (الإيوان) موقفه
منازل لك لم ينزل بساحتها
شعر تشربَّه الأرواح صافيةً
وشاعر لم يمهد قبله بهدى
جم المروءة، وافى الخلق، نمته
يغدو إليه زوو الحاجات في لهف
وما تعاضم يوماً في تفوقه
كانت زعامته ركنًا يلاذ به
كالنور ليس لأرض أن تخص به

قد ضنَّ بالفن إلا للبصير به
وصان تفكيره عن عرض مبتذل
والفكر كالدين حي في قداسته
لا كالخرائب والأطلال يسكنها
ما عززت أمةً أودت بعزته
إذا تهاون شعبٌ في كرامته
وإن أسيء إلى الآسي يُعالجه
ما حاربت أمةً أختيارها ونجت
هذا هو الخالد الموهوب أرفعه

كالكنز خبيء في حرز بأختام
كأنما هو حصن بين أطام
ملء العصور بآيات وأرام^١
شبح الفناء وتستخذي لأبوام
ولا اغتدت دونه في عدَّ أنام
عزَّ الأديم عليه عند أدّام
لم يرأم الجرح أو ينقذ بإرأم^٢
أو أودعت أمرها أوهام رجّام
عن أن تشير إليه أي إبهام!

* * *

قنعت بالحظ في النجوى ومرتقبي
يا من أصاخ له قلبي فهذبني
يا من سكنت إليه العمر ملتجأً
صحبته في خيالاتي، وفي مثلي
ولم يزل، ... ما لهذا الموت يعصف بي
وما لبرهة عام كنت أرقبها
أولى به ساعة تنكيس أروُسنا
لا أن تخفّض للطاغوت صاغرة
لئن تجرد عن ألقاب مملكة
فالدُّنْب يمرح في ثوب لسيدة

نعمى حنانك في عودي وإكرامي
طفلاً وكهلاً، وأحيا كل أيامي
ضافي العزاء، فلم أعبأ بأخصامي
وفي حياتي، وفي سعبي وإقدامي
كما يبعثر تأويلي وأحكامي؟
حالت أبوداً وردتني لإحرامي؟
حزناً عليه وتنكيس لأعلام
أو أن تطأطئ في بؤس وإعدام
زانت جباناً وما كانت لمقدام
وما يبدل غنماً ثوب ضرغام!

* * *

لم يبقَ لي من عزاء غير ما وهبت
ومن مزامير جلت في ترسلها

يمناك للخلد من آيات رسّام
وفي تسلسلها عن أي إدغام

^١ الأرام: النصب التي يُستهدى بها.

^٢ الإرام: معالجة الجرح.

كأنَّما هي من أركان إسلامي
راح الشباب فأنسى جذب أيامي
أرضى بجاماتها عن هذه الجام
هي (الطبيعة) في روعي وإلمامي
جاءت أناجيل فوق المدح والذام
فنلمح الدهر أحقابًا بأيام
ساوت ببر لمخدوم وخدام
وإن توارت بأزهار وأكمام
والفنُّ كالحب يحيا جدَّ نمام
وكم تثور على يآسي وإحجامي!

* * *

والسائس الحرُّ، بله الشاعر السامي
فما تثور على أسواط ظلَّام
ويركعون لأغرار وأوغام
إن يمدحون ويبكي الشانئ الرامي!
ولا يلبون حتى عزم همَّام
وما كرامة نبي عوز لقوام؟
ولم تطوف بأهرام وأهرام!
يا ليتها كقطيع بين أغنام!
وتُستباح ركوبًا عند إجرام
ولا سدادٌ، وتهوى لهو هدام
فخلَّطت بين أحباب وأخصام
كرافع لبنود النصر برام
وأسلمتها لزلات وأسقام
إلا العقاب وإلا وطء أقدام
والجهل معبودها في ملكه النامي
في حين تعنو لأوشاب وأعجام

ومن تسابيح مطران أرددها
ومن أغاريد للعشاق أرففها
ما الراح في الخلد موعودًا بها أدبي
ومن أهازيح في معنى وفي صور
ومن عظات وأمثال وفلسفة
ومن تهاويل للتاريخ تسردها
ومن صنائع للمعروف سابغة
ومن أحاديث مج الشد مبدعها
تنم عن عبقري الفن معجزةً
ولا أنيس سوى الذكرى لصحبتنا

رحلت في زمن عزَّ الحكيم به
عن أمة حظها الشكوى بلا خطر
يخشى أفاضلها الأوغاد إن سعلوا
ويسخطون على مثلي ليقظته
لا يستقرون من روع ومن قلق
إذا أردنا لها استقلالها نفرت
كأنَّما نسيت تاريخ عزتها
قالوا: قطيع من الأغنام يشبهها!
يصطاد أرزاقها من لا أكيفهم
ولا يقومها نصح ولا عبرٌ
كم خودعت وصروف الدهر ضاحكة
ما بارم الحبل في أعواد مشنقة
فأثخننتها جراحات بلا عدد
وما ينال وفيَّ حين يرشدها
الهلز ما زال من أسمى شعائرها
أحرارها غرباء لا تميزهم

لم تتعظ وصروف الدهر تلطمها
وتقتل الوقت إسفانًا ومنقصة
ولم أزل وأنا العاني بخدمتها
أحنو عليها وإن حارت على أدبي
وطاردتني إلى منفاي جانيةً
وعددت صفو آثاري كآثام!

* * *

من لي بقربك حيًا نائدًا مقهً
يؤرخ الأدب العالي بسيرته
ليبك من صفوة الأحرار من عرفوا
ومن أبوا أن يُعدوا في محبتهم
ومن يفدون أوطانًا نفخت بها
إن كانت اليوم نهبًا بعد تضحية

* * *

عسى الرياض التي ناجيتها شغفًا
عسى الرياح التي شاققتك ثائرةً
عسى الهدير على الأمواج ينفحنا
عسى ترانيم هذا الطل تمنحنا
عسى المساء الذي غنيته صورًا
عسى الجداول في أبهى وداعتها
عسى المروج وراعي النحل يلثمها
عسى (الطبيعة) في أسنى مفاتنها
إنني تأملت في حسن أهيم به
في نشقة العطر أو في النور مختلجًا
وفي مشاهد لا تحصى دقائقها
ورنحت كل عشب في تصوفه
أزجي رثائي صلاة أنت ملهمها

الطلع والزهر

إلى الصديق الشاعر نعمه الحاج في مرضه بحمى الطلع:

ومن قهر اليأس فيمن قهر؟
(يسوع) الهوى والهدى المنتظر
لك الأنس في شعرك المدخر
وقد رقصت فوق عزف المطر
فتمضي الرياح ويصغي الزهر
فيهفو لها كلُّ شيء شعراً
أمان، ويبسم حتى الحجر
وحالفك المستعز القدر
وخلقك دنيا تفوق البشر
يناجي السماء ويرضى الحفر
وقد أورثوه صنوف الغير
وهوّن ما حوله من شرر
قيام النبي أمام الخطر
ليؤمن بالحق من قد كفر

أيشكو من الطلع أندى الزهر
سلمت لنا يا رسول الجمال
تؤانسك المهج الشاكرات
وترعك أطياف هذا الخريف
ترتل عنك نشيد السلام
وتهتف بالحب روح الوجود
وتورق عند حفيف الغصون
سلمت وعوفيت من كل ضر
وعشت تمجد في الخالدين
ولا زلت منهض شعب أسير
تملقه دائماً قاهره
فأوهم في ذله عزة
أغثه وقم يا طريح الفراش
وجلجل بصوتك في الخافقين

وكن كأخيك الشقي الصبور
يجود بأنفاسه الوافيات
ويرجمه الطغمة الهازلون
إذا ما تنحَّى الهداة الأساءة
فيا ويل أمتهم في الهوان
سأرقب كتبك، شأن الحبيب
وفي كل سطر أرى للحياة
فعجل ببرئك يا ابن السماء
حرامٌ سقامك يا من تقدَّس
حرامٌ فعد لنشيد الخلود
على بره يستطيب الضررُ
لأوطانه فيلاقي البطر
وقد خادعوا الشعب حتى انفطر^٢
وخافوا مثالب غرٌّ فجرُّ
ويا ويلهم من زمانٍ أمرُّ
يُنَاجي النجوم ويرعى القمر
معاني تلهمني أو سيرُ
فكم معجز لك قبلاً ظهرُ
عند الفنون بأسنى السُّور
وأسمع (أبوللو) فتونَ الوتر!

^٢ انفطر: انصدع.

جواب الصديق الشاعر نعمه الحاج

وأبعد عنك الإله الضرر
فدًا لك أو إن شدا في الشجر
تفرَّدت باللفظ بين البشر
وتبعد عني الأسى والضجر
ـزَت فؤادي هزَّ الوتر
ومعجز أحمد فيما حضر
بشعرك يا خير من قد شعر
بما جاد للظالمين المطر
ولم يبقَ للطلع بي من أثر
دعاء الصديق الوفي الأبر
وفيه العظات وفيه الدرر
أرق النسيم سرى في السحر
ونشر الخزام ونفح الزهر
وما في الخريف سبى من صور
يقصر مهما عليها شكر
تريه الوفا ويريك البطر
فما أنت أول حر صبر
يُخاطب حتى يلين الحجر

وقيت الضنى وأمنت الخطر
وكل هزار شدا في السطور
أبا الشاديات الزكي الفؤاد
أتيت تؤانسني في الضنى
بنفثة سحر من المعجزات هز
ومعجز أحمد فيما مضى
شعورك ألهب فيَّ الشعور
وروحك جادت على مهجتي
برئت وزايل عزمي الخور
وما من علاج ولكنَّه
أخي وكتابك فيه الرقى
وفيه أرق النشيد حكى
تنشقت منه عبير الورود
وطالعت فيه رواء الربيع
سجايك تلك حلت واللسان
إذا ما شقيت بخدمة شعب
وتصبر صبر الكريم الحليم
صرخنا إلى أن يئسنا كمن

ومن غرّه مظهر في الورى
مدالسة ورياءً هناك
فما زال للنعرات النفوذ
وليس لأهلية المرء بل
وقد عجز العلم أن يقهر الـ
يعيشون بالزي في عصرهم
ومن زاد بذخاً بتهريجه
ترى ما يسوءك أنى التفتت
قبورٌ مكلسة نتنها
فلا أمل منهم يُرتجى
عسى بعد أن يتولى القديم
ويعتدل الغصن لكن إذا

فإنني أرى دونه ما استتر
وما اغترّ من علمته العبر
هي المبتدا عندهم والخبر
لمذهبه كان لفت النظر
خرافات فيهم فيمن قهر
وأفكارهم في زمان غبر
فذاك هو السيد المعتبر
وأما المسرُّ ففيما ندر
توارى وزخرفها قد ظهر
فسلم رجاك لأمر القدر
يحقق في مقبل منتظر
غدا حطباً وشدت انكسر

واد وواد

(إلى الصديق الشاعر إلياس عساف صليبا ردًا على قصيدة ودية كريمة.)

وودك المزدرى بإضدادي
فالكل عندي مثال أولادي
وأوقعوا في شباك صياد
يشقى شعوبًا بوهم أفراد
فأعلنوا جاحدين إلحادي
قد أحرزوا ما يسر نقادي
ولا أعاني من قدح حسادي
فذاك حبي تراث أجدادي
وأي كره لعاشق (الضاد)؟
لهم بواد، والجمع في واد
ماض، وليسوا بعهد رواد
ليست بدنيا لهم بمرصاد
هزائم ألحقت بقواد
نهبًا، وكانت أعز أطواد
يدنى ويُقصى المقوم الفادي
إلا شهيدًا لنار أحقاد
وهم مطايا تذل للحادي

للفن قدرت شعرك الهادي
وليس بي نقمة على أحد
وعظتهم مخلصًا فما اتعضوا
من كل غر أو سائس أشر
وعدت في نخوة أذكرهم
يا ليتني مخطئ، وليتهمو
فما أبالي إلا بعزتهم
إذا انطوى خاطري على وطني
وليس كرهًا لغيره أبدًا
صدقت! أني أعيش محترقًا
كأنهم أشرفوا على زمن
كأنما (الذرة) التي انفجرت
كأنما جعجعات طائشهم
وا لهفتي إذ غدت معاقلهم
وا لهفتي حين من يخاتلهم
بل لا يصير الذي يبصرهم
هيهات أن يبعثوا بضلتهم

من السماء

وهم ضحايا أبت جهالتهم
لعلّ أحرارهم سواسيةً
وعلّ يوماً به تحرّرهـم
أن يستعادوا من كف بدّاد
يحيون يوماً لثأر أنداد
يحين سمحاً بغير ميعاد!

١٩٤٩

كابوس نائب

الرسم للفنان الفرنسي دوميه

كمن حاصرته جيوش العدى
وقد أوقظت فجأة خائفه
وماذا يروعك؟ ماذا احتواك؟
وأنّ جناحي كسير مهيض!
فلولاه ما نلت هذا المقام
فلو كنت عاداك كل وجافى!
كأنك طفلٌ غريزٌ هنيء
بك الليل دون جميع الأنام
وحظّين أن تطلبوا المستحيلا
فخل اعتلاك دوماً شعاره!
فتغدو طريداً شقيّاً جريحا!
بدنيا تدين بذل الجباه
ولكنه في عداد العبيد!
ستقنى النور ويبقى البغاث!
ورنّ النخير، وطنّ الشخير!

أفاق من النوم مستنجدا
فصاحت به زوجه الواجفه
«أجبنى، أجبنى! ماذا دهاك؟
فقال: «حلمت بأني مريض!
فقلت: «هنيئاً بهذا السقام
ومن قال إنك حر معافى؟
فتم ملء جفحك نوم البريء
وطوبى لكابوسك المستهام
لعلّ بذلك فألاً جميلاً
لعلك تبلغ دست الوزارة
وإياك تبدو رشيداً صحيحاً
كذلك شأن الورى والحياه
وما الثائر الحر فيها السعيد
فتم يا حبيبي بغير اكتراث
فنام وغط غطيظ البعير



كابوس نائب.

تقديس الفن

مهداة إلى الأستازين الفنانين أدهم وسيف وانلي وإلى مدرستهما الفنية بثغر الإسكندرية.

في سنة ١٩٠٧م لوحظ طفل يزور المتحف البريطاني بمدينة لندن تكرارًا، واضعًا في كل زيارة باقة من الأزهار عند قاعدة تمثال إغريقي أحبه، وسرعان ما كان الحارس يزيلها متذمرًا من إصرار هذا الطفل المقدس للفن.^١

فقدس (الفن) معناه وآثاره
وليس يسأم بالقربان تكراره
يزيلها آبيًا للطفل إصراره
قلبي، ويمنحها حبي وأزهاره
فاتت مآثركم يومًا وأنواره؟
ملء الفؤاد، وطيفًا مخلصًا زاره؟
في (معبد الفن) نسقى منه أسراره
فكيف حين تهيج اليوم تذكاره؟
والمرء يظهر فيما صاغ واختاره
إذا صببت فؤادي اليوم أشعاره

كالطفل أهدى إلى التمثال أزهاره
والناس تعجب منه وهو مغتبط
وحارس (الفن) مزهواً بمتحفه
ترى ولأني للذكرى يُمجدها
وأني ذكرى تتاجي (النيل) إن كملت
ولم تقبل جمالاً في مفاتنكم
إن أنس لا أنس أعيادًا لنا سلفت
في كل يوم أناجيها وأعبدها
وافت رسائلكم جذابةً صورًا
فأي شعر يُحاكي بعض رونقها

^١ مجلة «أكاديمي» بتاريخ ٣١ أغسطس سنة ١٩٠٧م.

من السماء

وأَيُّ زهْرٍ حرِيٍّ أن يكرمها وأن يغازلها إن بث عطَّاره؟
سأستقلُّ بتقديسي روائعكم كذلك الطفل إذ لم يلقَ أنصاره
والفن ليس من الدهماء قوته إن فات من حكماء الشعب أوتاره

١٩٤٩

إرتريا الجديدة

تحية ونشيد

إرتريا إرتريا إرتريا!
لا تذعني لدنيا
إلى الأمام سيرى!
تعنو إلى القدير!

* * *

توحيدي وضمي
ولتحفظي كالأُم
بالعلم ثم العلم
سيرى مسير النجم
ولتبدعي الجنانا
فترفعي الأوطانا
لا يرهب المحالا
فلتركبي الأهوالا
لا فخر بالجدود
الفخر أن تجيدي
أبناءك الأحرارا
ولاءهم شعارا
والخُلُق ثم الخُلُق
في عالم للحق
والنور والعرفانا
وتسعدى الإنسانا
إلا الضعيف الواهي
إن شئت أن تباهي
مهما سموا وسادوا
ودأبك السدادُ

من السماء

يا بنت (نهر القاش)^١ يا أخت (مصر) الصغرى
ما كنت للنجاشي والعصر يُسمي الحرا
بل أنت في العصور من أنت عند شعبك
مفدية بالهور^٢ والكلُّ رهن حبِّك

* * *

إرتريا إرتريا! إلى الأمام سيرى!
لا تدعني لدنيا تعنو إلى القدير!

١٩٤٩

^١ أحد فروع (النيل) الصغرى.

^٢ إشارة أيضًا إلى أسطورة الفداء والقربان (للنيل) عند قدماء المصريين.

الواحة والهجير

(ردُّ على كتاب من الصديق الشاعر نعمه الحاج.)

الشاعر الفذ في لحن وفي عبق
إلا بأنداء زاهي الفجر والشفق
تحنو عليّ حنو الأم في قلقي
أنغام صدّاحها بالحب والحرق
قلبي وذهني بإيماني ومعتنقي
مجلي من اللطف للألباب والحدق
وبين عانٍ من الأحقاد مختنق
إلّا ضروراً من التجريح والحمق
في عالمٍ عائرٍ بالمين والملق
وودك المحض صوب العارض الغدق

إلى الأديب أديب النفس والخلق
شكري لوّد كريمٍ لست أعهده
وفي (الطبيعة) في شتى مفاتها
غناء في صمتها أضعاف ما نطقت
تشربت روحها روعي وجاوبها
كذا كتابك إذ وافى بجنّته
والنّاس بين حقير في مداركه
لا يغنم الحرُّ إذ يشقى ليسعدهم
أهلاً بحبك واساني وأسعدني
كأنني واحة يودي الهجير بها

رجع الصدى

(جواب الصديق الشاعر نعمه الحاج.)

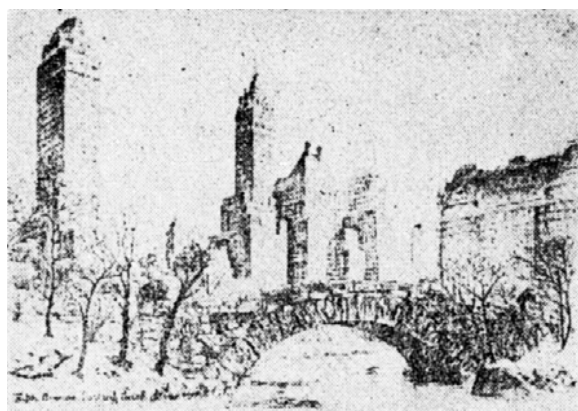
تزري بطلعة ذات الحلي والحلق
ورد الربيع ونشر المسك في العبق
تركنتني ولساني غير منطلق
وقلدتني — فناءت بالثنا عنقي
ضاق اللسان بها فالقلب لم يضق
لكن على الفضل شكري غير مستبق
لمَّا رأَت ما استحبت فيَّ من خلق
إليك أرجعه قلبًا على طبق
من الوفاء بثوب نزهة الحدق
هم في الحضيض وأنت البدر في الأفق
تجهل أولئك ما لاقوا وذاك لقي
للفن في عالم ما فيه غير نقى

أهلاً بطلعة بنت الفجر والألق
تعزي لأحمد أنفاسًا مطيبةً
يا مرسل الشعر نفث السحر منطلقًا
من بحر فضلك وافتني بمؤتلق
ني منةً يا شقيق الروح منك إذا
أن تشكر الودَّ — فضلٌ قد سبقت به
حسناء روحك في مرأتها نظرت
وكننت أولى بهذا الشكر منك لذا
قلبًا يعيد الولا ضعفيه متشخًا
دع الأنام ولا تنزل لحماتهم
جاء المسيح وجاء الأنبياء ولم
فاسبح بروحك في جو القريض وعش

النكبة

بل في حروب الهوى والبؤس واليأس
بل التحرر من عجز وأرجاس
إذا قنعتم بأوهام ووسواس
ليست سوى وزر أخلاق وسواس
يختال مصطنعًا للحذق والباس
مع الخنوع لعبدان وأنجاس
للعلم يسعفه في دعم آسائس
لم يخلق النصر للمستهتر الناسي
ومن يعيش على خوف وإفلاس
في رجع عزتكم أو دفع إيجاس
تصونه قبل أجناد وأحراس!
بين الغرور وبين اللهو والكاس
ولا تساوم فيه أي إحساس
فليس غير شعوري الملهم الآسي
لو صح، لكن سئمت الحق في الناس
جنت عليهم، فماتوا ميتة الياس!

لم يهزم الناس في حرب مع الناس
ليس الصياح بمجد في مآتمكم
ولا المباهاة بالتاريخ تسعفكم
همُّوا بني أمتي! هموا! فنكبتكم
همُّوا ولا تتركوا من باعكم سفهاً
هيهات ما عصرنا الذريُّ منصفكم
هيهات يسلم إلا كلُّ ذي شره
ما للتناسي المآسي، وهو علتكم
ولا لمن حظه ترديد جعجعة
همُّوا! فليس الغد المأمول خاذلكم
همُّوا لبنيان مجد من عظامكم
فالحق أضيع في أيدي تداعبه
والحق أثبت في أيدي تقدسه
إن كان نصحي لكم قد ساء أحمقكم
ما كنت أبغض خيراً سوف يشملنا
وجريهم خلف أوهام مزوَّقة



نيويورك

ومن ألهموا الشعر إيمانها
وقد زانها منه ما زانها
تخذن الشوامخ عنوانها
أجاد، وأعلين إنسانها
وإن سؤد الدهر جدرانها
وإن زعموا المال ديانها
وإن حسبوا اللهو ميزانها
تضاعف بالشيب شبانها
كأنَّ الهواء الذي صانها
ولكن ليسعد سكانها
قرونًا تكرر أقرانها
ترتل للسلم ألعانها
جعلن الحقيقة أوطانها
غرائب جاوزن حسبانها
بهرن الفنون وفنانها
ولولاه كنت كمن خانها
بها والمرتل فرقانها
رأى في المصاعب إحسانها

نسيتُ الجنان وسكانها
وآثرت عاصمةً للكفاح
كفاح التنافس في الخالدات
وقدَّسن مسترسلًا في الطموح
تلاً فيها ضمير الوجود
فللدين فيها مكان الخشوع
وللعلم فيها حياة الجموع
وللطب آياته في سطوع
وللفن منزلة في الذيوع
وللهو غايته في الشيع
سمت بمتاحفها الغاليات
وشتَّى معابدها الحاليات
وأبقى معاهدها المعجزات
وأقوى معاملها الخالقات
وأزهى مسارحها الفاتنات
سعدت بها رغم هذا الكفاح
فأصبحت عاشقها المستعزَّ
أغني لها صلوات الشكور

وأمشي على الطرق الصاخبات
وأهوى حدائقها الحالمت
كأنَّ السناجيب^١ أطفالها
كأنَّ الغرانيت في أرضها
معابد لا معبد للجمال
ومن حولها العشب جم الرفيف
كأنَّ الأزاهر يقظانة
كأنَّ الجنادب في شدوها
كأنَّ الطيور بتغريدها
كأنَّ الأشعة رسل (الطبيعة)
وتضفي على الصخر تحنانها
أطوف بها لاهياً ضاحكاً
وإن كان صفوي الذي لا يمل
ومن للوحوش بأقفاصها
فما زارت مرة في شجى
وما شمخت ناطحات السحاب
وإن سكنت فوق قطر تسير
تسير بجوف الثرى كالبروق
حياة تكرر فيها الحياة
وعمرٌ تجاوز عمر السنين

فخوزاً أنافس سلطانها
قصائد زين ديوانها
جعلن الأراجيح أغصانها
صوامع حجب رهبانها
يمس المطوف أركانها
يجابوب بالعطف تحنانها
ملائك تحرس كتبانها
ندامى تسامر ندمانها
تلقن للشعر أوزانها
تحمل للنبت ألوانها
وتلقي على الماء نشوانها
كأنني منتهب حانها
عبادة من عز أوثانها
رأى إخوة أسعدوا شأنها
ولا عرف الهم خرسانها
على السفن تمخر خلجانها
شياطين نافسن شيطانها
وقد تتجاوز إمكانها
وهيهات نقدر أثمانها
ودين تشرّب أديانها

اللاجئون

ومعذَّبون لهم تقام جهنَّمُ
والظالمون الغاشمون عليهمو
لو كان يمتلك الوجود المبهم
أممٌ، وهان معززٌ ومنعمٌ
ولعل أول من يلامُّ اللومُ
حتى يُغاث من الفناء المعدم^١
فيما روى التاريخ أو ما يُعلمُ
ويدوم البحر الذي يسترحمُ
والرعد في جبروته يتهدمُ
والأهل ... ما للأهل لم يتندموا
تتطلب الأنجاد حين تلعثموا
ضنوا بأوهى الواجبات وأحجموا؟
تؤبى إذا ما هان للحر الدمُّ
من هم عماد حياتها لو تفهم
بعثٌ ولو عاد النبي الملهم!

خرسٌ فمن عن ويلهم يتكلَّم؟
جنت السياسة مثلما جنت الوغى
وتشردوا لا يملكون وجودهم
ضاعت معاقلهم، وضاعت قبلها
ليس المقام مقام لوم شامل
إنَّ المقام مقام نبلٍ سابغٍ
إنَّ المصيبة لا مثيل لرزئها
ليفتت الجلمود من أهوالها
وتشقُّ أطباق السماء مناحةً
والنَّاس ... ما للنَّاس لم يتأثروا
إنَّ الكوارث مفصحات حولهم
هذا أو ان التضحيات فما لهم
المال مهما جل ليس ضريبة
وإذا تخاذلت الشعوب وأنكرت
فمن المحال لهم، وذلك حالها

عيسى

واهب الحب والجمال

سَيِّان لاسمك أو لله يُبتهل!
من الإله وما أسقيتنا نهلُ
وفي المآسي التي قد عَقَّها الأملُ
إلى الصواب إذا ما حَفَّنَا الزلُّ
ومظهر الخير في الدنيا لمن عقلوا؟
عن الأنام، وفدَّاهم وإن جهلوا؟
وأنت للنَّاس والأديان من أملوا
بالمعجزات مآسي الناس تحتملُ
وكيف ينتابنا في حُبِّنا مللُ؟
بصون مبدئك الأسمى ونحتفلُ
وعنده أنت أنت الفاتح البطلُ
لو أن إيمان جُلِّ الناس مفتعلُ

يا مُعلن (الحقِّ)! لم يُنصفك من جهلوا
نورٌ من الله، ما ألهمتنا قبسُ
لُدنا بحبك في الآلام طاغيةً
كما دعونك في الجَلَى^١ لترشدنا
ألست إلهام هذا الكون أجمعه
ألست من حمل الآلام قاطبةً
لكل دين نبيُّ يُستغاث به
يا صاحب المعجزات اليوم ما برحت
إنَّا نناجيك، لا ينتابنا مللُ
ونفتديك، وإن فديتنا سلفًا
المُسلم الحقُّ لا يألُو^٢ تشوقه
هيهات يفتعل الإيمان مذهبه

^١ الجَلَى: الأمر الشديد والخطب العظيم.

^٢ يألُو: يقصر ويبطئ.

مرّت عصورٌ أمامي كنت أعرضها
وكلُّ ما ملك الإنسان مبتدعاً
فلم أجد بينها «عهداً»^٣ أعزّ سنّي
يا واهب الحب ديناً والجمال غنى
إذا تذبذب من عدوك فاديهم
ومرّ خلقٌ، ومرّ النجح والفشلُ
وكل جهد وعت أيامه الأول
مما وهبت، ولو قامت به الدول
لولاهما شامت الدنيا لمن كملوا
فما تذبذب لي قولٌ ولا عمل!

١٩٤٩

^٣ عهداً: ميثاقاً.

شجرة عيد الميلاد

أخت السلام! ربيبة الأعياد!
لم يمهلك كأنَّ عرسك لم يكن
وعرفت قارعة الطريق مباءةً
كم حاصروك مهنتين وأنشدوا
وتباركوا بك خاشعين، فما لهم
وكأنَّما لم تبَقْ للذكرى يدُ
تطأ النعال من الفروع حزينةً
ويعافها الكلبُ الذي بوفائه
فتسأمُ من بعد المهانة والأذى

طرحوك طرح نفايةٍ وبَداد^١
عرسًا، وحليك كان رمز حداد
بعد الخشوع وفرحة العبَّاد
سورًا، وكم خصوك بالميلاد
نبذوك نبذ ضلالة وفساد؟
سلفت، ولم تمدد إليك أيادي
كانت معارض زخرف مبيَّاد
ضُرب المثل، ويستتهن العادي
نارًا، كأنَّ بها وباء عباد!

* * *

أحييت ميلاد (المسيح) وبعده كنت الضحية للمسيح الفادي

الصعود

أَسْفًا، أَعُودُ إِلَى (السَّمَاءِ) كَمَا أَتَيْتُ بِنَبْعٍ فَنِّي
لَمْ أَلْقُ فِي دُنْيَا الْأَنْبَاءِ سِوَى الْمَهَازِلِ وَالتَّجَنِّي
دُنْيَا تَقْوَمُ عَلَى الدَّمَاءِ وَبِالدَّمَاءِ هَوَى تَغْنِي
وَتَدُورُ طَاحِنَةً عَقُولَ النَّابِهِينَ وَأَيَّ طَحْنٍ
وَيَسُوسَهَا الْبِلَهَاءُ مِنْ غَبْنٍ تَعَانِيهِ لَغْبِنٍ
وَمِنْ الْخَرَابِ يَهْزُهَا هَزًّا إِلَى ضَغْنٍ وَضَغْنٍ
(الْأَرْضِ) كَمْ شَقِيَّتْ بِهِمْ كَشَقَاءِ مَوْتُورٍ بِأَيْنٍ^١
وَهَبَتْ لَهُمْ أَسْنَى الْكِنُوزِ فَكَافَتْهُمَا بِالتَّدْنِيِّ
صَلَبُوا (الْمَسِيحِ) وَشَرَدُوا الْأَحْرَارَ بَيْنَ الْخَافِقِينَ
وَحَيَاتِهِمْ نَقَضَ الْحَيَاةَ تَسَامُ فِي شَكِّ وَمِينٍ
كَمْ أَوْلَعُوا بِالْهَدْمِ وَالْهَدَامِ لَا يَسْمُو لِيَبْنِي
وَلَوْ أَنَّهُمْ عَقَلُوا جَنُوا مِنْ نَارِهِمْ جَنَاتٍ عَدَنٍ
فَإِلَى (السَّمَاءِ) أَعُودُ لَمْ يُغْنِ التَّائِي وَالتَّمْنِي
فَحَرُوبَهَا أَجْدَى وَأَوْفَى (لِلْحَيَاةِ) وَكُلٌّ فَنٌّ
وَسَلَامُهَا أَبْقَى وَأَنْقَى لِلْوُجُودِ الْمَطْمَئِنِّ

^١ الموتور: من قُتِلَ لَهُ قَتِيلٌ فَلَمْ يَدْرِكْهُ بَدْمَهُ. وَالْأَيْنُ: الْإِعْيَاءُ.

من السماء

إن تعتبر منفاي فالمنفى أبرُّ إذن بذهني
ولعلَّ أمِّي (الأرض) في الحاليين في ذهني وعيني!

١٩٤٩

